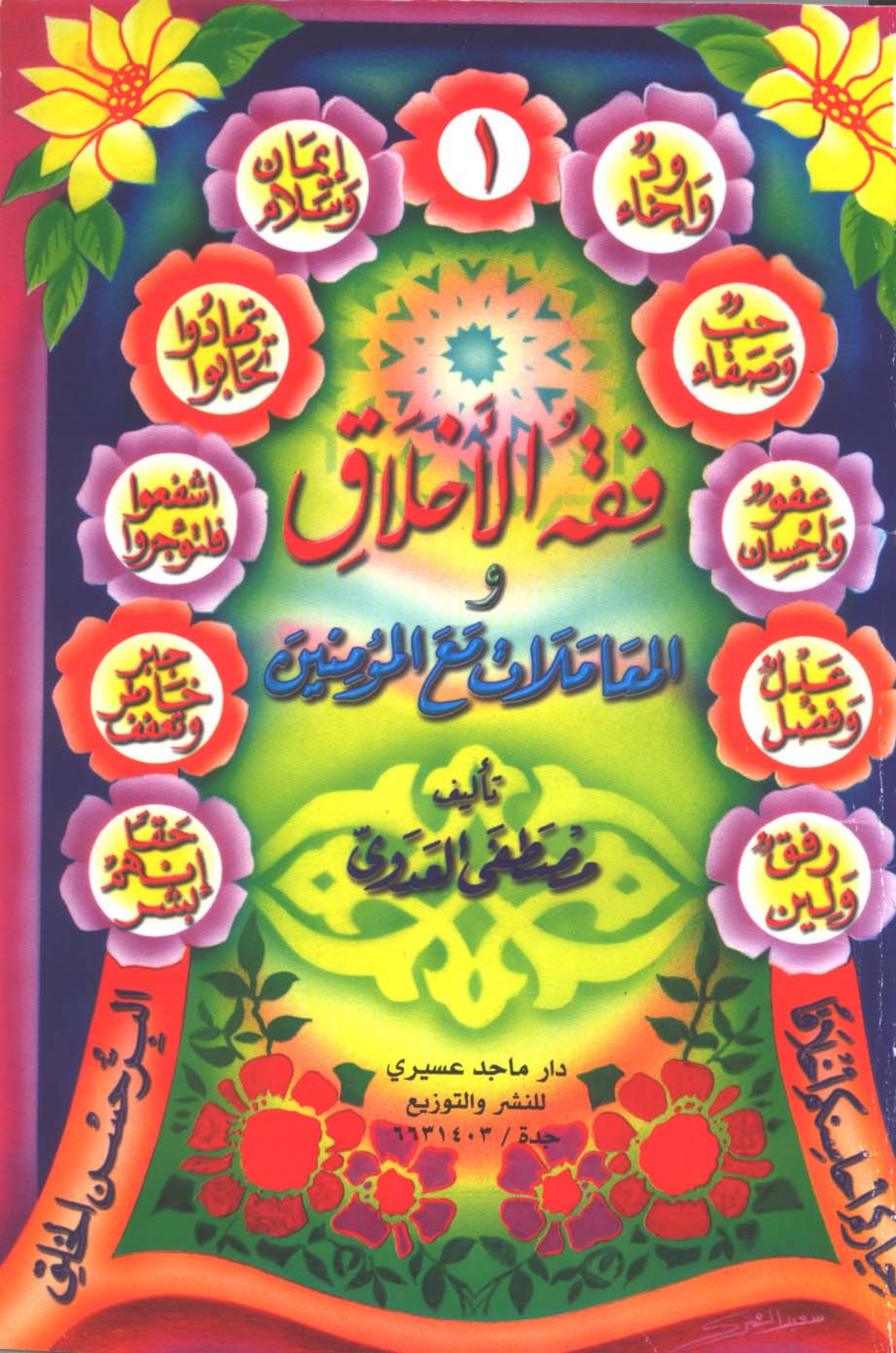


١
إيمان وسلام
ودٌّ وإخاء
تهادوا تحابوا
حبٌّ وصفاء
اشفعوا فلتؤجروا
عفوٌ وإحسان
جابر خاطر وتعفف
عدلٌ وفضل
حقًا إنهم بشر
رفقٌ ولين
فقه الأخلاق
و
المعاملات مع المؤمنين
تأليف
مصطفى العدوي
دار ماجد عسيري
للنشر والتوزيع
جدة / ٦٦٣١٤٠٣
البر حسن الخلق
خياركم أحاسنكم أخلاقا


بسم الله الرحمن الرحيم


فقه الأخلاق
والمعاملات مع
المؤمنين

الطبعة الأولى

١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م

رقم الإيداع بدار الكتب

٩٨/٢٢١٧

مقدمة واستهلال

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي ، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾
[آل عمران: ١٠٢]

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء: ١].

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾
[الأحزاب: ٧٠، ٧١]

أما بعد ؛ فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار ، وبعد :

فإن المؤمن ، بلا شك ، يريد أن يكون محبوبًا لدى الخالق وأيضًا محبوبًا لدى الخلق .

● وكذلك فإنه يريد أن يكون وجيهًا في الدنيا ووجيهًا أيضًا في الآخرة !!

● وكذلك فإنه يُحب أن يحيا حياة طيبة في الدنيا وأن يُجازى أجره في الآخرة بأحسن الذي كان يعمل !!

● يحب أن يُؤتى في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وأن يُوقى عذاب النار !!

● يحب أن يُجعل له لسان صدق في الآخرين كما قال الخليل إبراهيم عليه الصلاة والسلام : ﴿ **وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الآخِرِينَ** ﴾ [الشعراء: ٨٤].

● يحب أن يُثني عليه الناس في الدنيا ويمدحونه ، ومع ذلك يلاقي الأجر العظيم والثواب الجسيم والثناء الجميل في الآخرة .

● يحب أن يُذكر بخيرٍ في الأرض ويُذكر في الملإ الأعلى كذلك بخيرٍ وحُسن ثناءٍ .

● وليس هذا بضائـرٍ للمؤمن في دينه ، بل ذلك كله من محاسن هذا الدين ﴿ **رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ** ﴾ [البقرة: ٢٠١]

وعيسى عليه السلام : ﴿ **وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ** ﴾ [آل عمران: ٤٥]

وإبراهيم الخليل يقول : ﴿ **وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الآخِرِينَ** ﴾ [الشعراء: ٨٤]

● والله يحب بعض العباد ، وكذلك يحبهم جبريل وأهلُ السماء ، ويجعل اللهُ لهم وُدًّا ، ويُوضع لهم القبول في الأرض!!

● وهذا الذي ذُكِر يتأتى بفضل الله ، ثم بحسن خُلقٍ يرزقه اللهُ العبد

ومن ثمَّ ، كان أعلى الناس منزلة يوم القيامة ، وسيد ولد آدم ، وهـــو **رسول اللَّه ﷺ أحسن الناس خُلُقًا** (١) .

● وأقسم الله سبحانه وتعالى على أن نبيه ﷺ على خلقٍ عظيم ؛ قال الله تبارك وتعالى: ﴿ **نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١ مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ۝٢ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ۝٣ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ** ﴾ [القلم: ١ - ٤]

● وأثنى الله سبحانه على نبيه ﷺ غاية الثناء بقوله : ﴿ **فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ** ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

● وبيَّن الله سبحانه وتعالى شفقة هذا النبي الكريم ﷺ على أمته بقوله: ﴿ **لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ** ﴾ [التوبة: ١٢٨] .

● وقال تعالى في شأن هذا النبي الكريم ﷺ وأمته : ﴿ **مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ** ﴾ [الفتح: ٢٩].

● وحث الله سبحانه وتعالى نبيَّه الكريم ﷺ على خفض جناحه للمؤمنين بقوله: ﴿ **وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾ [الشعراء: ٢١٥].

● وقد اجتمعت في رسول الله ﷺ خصال الخير من حياءٍ وكرمٍ وشجاعةٍ ووفاءٍ ونجدةٍ وشهامةٍ وحُسنِ استقبالٍ وحِلمٍ وإكرامِ يتيمٍ وحُسنِ سريرةٍ وصدقِ حديثٍ وعفةٍ وطهارةٍ وزكاءِ نفسٍ وسائرِ خصال الخير .

---

(١) أخرج البخاري (٦٢٠٣) ومسلم (حديث ٦٥٩) من حديث أنس رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خُلُقًا.

• وقد سُئِلَتْ أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن خُلُقِ النبي ﷺ فقالت : « **كان خُلُقُهُ القرآن** »[1] .

وصف مُوجزٌ وبليغٌ تصف به أم المؤمنين الفقيهة العالمة رسول الله ﷺ!

وصفٌ شامل وجامع ، « كان خلقه القرآن » صلوات ربي وسلامه عليه .

* خُلُقُ هذا القرآن الذي ﴿ **يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ** ﴾ [الإسراء: ٩] ، و﴿ **يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ** ﴾ [الجن: ٢] .

* خُلقه القـرآن ، ذلكم الكتـاب الـذي : ﴿ **لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ** ﴾ [البقرة: ٢]

*كتابٌ مباركٌ ما فرط الله فيه من شيء !!

* ﴿ **وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ (٤١) لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ** ﴾ [فصلت: ٤١، ٤٢] .

جمع هذا الكتاب المبارك مكارم الأخلاق خيرَ جمعٍ ونَظَمَها خيرَ نَظْمٍ .

وسار به رسول الله ﷺ خيرَ سِيرةٍ وقام به خيرَ قيامٍ .

فلزمنا الفقه في كتاب الله وتدبر آياته فقد أمرنا الله بذلك وحثنا عليه .

---

(١) أخرج مسلم (٧٤٦) من طريق هشام بن عامر قال : فقلت يا أم المؤمنين أنبئيني عن خُلُق رسول الله ﷺ ؟ قالت : ألست تقرأ القرآن ؟ قلت : بلى ، قالت : **فإن خُلُق نبي الله ﷺ كان القرآن** .

• قال الله تبارك وتعالى : ﴿ **كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ** ﴾ [ص: ٢٩] .

ولزمنا أيضًا النظرُ في سيرة رسولنا ﷺ والتأسي به وطاعتُه صلوات الله وسلامه عليه .

قال تعالى : ﴿ **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا** ﴾ [الأحزاب: ٢١] .

• وقال تعالى : ﴿ **وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا** ﴾ [النور: ٥٤] .

فلابد ، ولا مفر من النظر في سيرة الرسول ﷺ واتباعها لمن أراد التحلي بمكارم الأخلاق.

• وقد كان النبي ﷺ في مستهل دعوته إلى التوحيد يأمر أيضًا مع دعوته للتوحيد بمكارم الأخلاق .

• أخرج الإمام[1] أحمد رحمه الله في « المسند » ، والبخاري في «الأدب المفرد» بإسناد حسن من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : « **إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق** » وفي رواية : « **إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق** » .

• قال أبو ذر لأخيه ـ لما بلغه مبعثُ النبي ﷺ ـ : اركب إلى هذا

---

(١) أحمد في « المسند » (٢/٣١٨) ، والبخاري في « الأدب المفرد » (٢٧٣) وإسناده حسن وله شواهد فيها ضعف قد ترقيه إلى الصحة.

قال ابن عبد البر : (وهو حديث مدني صحيح متصل من وجوه صحاح عن أبي هريرة وغيره) انظر « الموطأ » (ص٩٠٤) .

الوادي فاسمع من قوله فرجع فقال : **رأيته يأمر بمكارم الأخلاق**[١] !!

● وقال ﷺ : « **أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا وخياركم خياركم لنسائهم** »[٢] .

● **وبيَّن النبي ﷺ فضل حسـن الخلق ، وما فيه من أجرٍ وثواب بقوله : « ما من شيء أثقل في الميزان من خُلُقٍ حسنٍ »**[٣] .

وفي بعض الزيادات الصحيحة في هذا الحديث : « **وإن صاحب حسن الخلق ليبلغ به درجة صاحب الصوم والصلاة** »[٤] .

● وأخرج أبو داود[٥] بإسناد صحيح لشواهده من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **إن المؤمن ليُدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم** » .

---

(١) البخاري (حديث ٣٨٦١) ومسلم (حديث ٢٤٧٤) .

(٢) **صحيح بمجموع طرقه** ، أخرجه أبو داود (٤٦٨٢) والترمذي (١١٦٢) وقال : حسن صحيح ، والترمذي (١١٦٢) ، وأحمد (٢/ ٢٥٠ ـ ٤٧٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

(٣) **صحيح** : أخرجه عبد بن حميد في « المنتخب » بتحقيقي حديث (٢٠٤) والترمذي حديث (٢٠٠٤) وأبو داود (٢٧٩٩) وأحمد (٦/ ٤٤٦ ، ٤٤٢ ، ٤٥١ ، ٤٥٢) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه مرفوعًا .

(٤) وهي عند الترمذي وغيره وله عدة شواهد وهي صحيحة .

(٥) أبو داود (حديث ٤٧٩٨) وأحمد (٦/ ٩٠ ، ١٣٣ ، ١٨٧) والحاكم (١/ ٦٠) وله عدة شواهد عند البخاري في « الأدب المفرد » (حديث ٢٨٤) والحاكم (١/ ٦٠) وأحمد (٢/ ٢٢٠) وغيرهم .

● وقال ﷺ : « **البر حُسن الخُلق** »(١) .

● وأخرج الترمذي(٢) من حديث جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **إن من أحبّكم إليَّ وأقربكم مني مجلسًا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقًا وإن أبغضكم إليَّ وأبعدكم مني مجلسًا يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون**

---

(١) **صحيح** : أخرجه مسلم (حديث ٢٥٥٣) من حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه مرفوعًا .

وقد أخرج الترمذي (٢٠٧٣ ـ تحفة الأحوذي) بإسناد حسن عن ابن المبارك أنه وصف حسن الخلق فقال : هو بسط الوجه ، وبذل المعروف ، وكف الأذى .

وقال الحافظ في « الفتح » (١٠/ ٤٧١) : « قال القرطبي في « المفهم » : الأخلاق: أوصاف الإنسان التي يعامل بها غيره ، وهي محمودة ومذمومة ، فالمحمودة على الإجمال أن تكون مع غيرك على نفسك فتنصف منها ولا تنصف لها ، وعلى التفصيل : العفو والحلم والجود والصبر وتحمل الأذى والرحمة والشفقة وقضاء الحوائج والتوادد ولين الجانب ونحو ذلك ، والمذموم منها ضد ذلك ، وأما السخاء فهو بمعنى الجود ، وهو بذل ما يقتنى بغير عوض ، وعطفه على حسن الخلق من عطف الخاص على العام ، وإنما أفرد للتنويه به . وأما البخل فهو منع ما يطلب مما يقتنى ، وشره ما كان طالبه مستحقًّا ولا سيما إن كان من غير مال المسئول .

(٢) أخرجه الترمذي (٢٠١٨) وقال : هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه ، وروى بعضهم هذا الحديث عن المبارك بن فضالة عن محمد بن المنكدر عن جابر عن النبي ﷺ ولم يذكر فيه عن عبد ربه بن سعيد وهذا أصح .

قلت : الحديث مروي عند الترمذي من طريق مبارك بن فضالة عن عبد ربه بن سعيد عن ابن المنكدر عن جابر ، ثم أشار الترمذي إلى ما ذكرناه عنه .

وعلى كل حال فمبارك بن فضالة مدلس ومتكلم فيه أيضًا ، **لكن للحديث شواهد يُحسن بها** والمبارك يحسن حديثه في مثل هذا الموطن وانظر « مسند الإمام أحمد » (٤/ ١٩٣ ـ ١٩٤) ، (٢/ ١٨٥) .

والمتفيقهون » ، قالوا : يا رسول الله ! قد علمنا الثرثارون والمتشدقون فما المتفيقهون ؟ قال : « **المتكبرون** » .

● **قال الترمذي** : والثرثار هو كثير الكلام ، والمتشدق الذي يتطاول على الناس في الكلام ويبذو عليهم .

● وأخرج الإمام أحمد بإسناد صحيح[(١)] عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال لها : « **إنه من أُعطي حظه من الرِّفق فقد أعطي حظه من خير الدنيا والآخرة ، وصلة الرحم وحُسن الخلق وحسن الجوار يعمران الديار ويزيدان في الأعمار** » .

● وبيَّن النبي ﷺ أن الخيرية تكمن - بعد تقوى الله - في حسن الخلق قال عليه الصلاة والسلام : « **إن خياركم أحسنكم أخلاقًا** »[(٢)] .

● وفي « مسند الإمام أحمد »[(٣)] وكذلك عند البخاري في « الأدب المفرد » بإسناد صحيح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « **خيركم في الإسلام أحاسنكم أخلاقًا** » .

---

(١) أحمد في « المسند » (٦/ ١٥٩) من طريق عبد الرحمن بن القاسم ثنا القاسم عن عائشة أن النبي ﷺ قال لها . . فذكره .

وإسناده صحيح، لكن قد أشار بعض أهل العلم إلى ما يُفيد أنه وقف عليه من طريق عبد الرحمن بن القاسم عن عائشة رضي الله عنها (أي : بدون ذكر القاسم) فالله أعلم .

(٢) أخرجه البخاري (٦٠٣٥) ومسلم (حديث ٢٣٢١) .

من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : « لم يكن رسول الله ﷺ فاحشًا ولا متفحشًا » وإنه كان يقول : « إن خياركم أحسنكم أخلاقًا » .

(٣) أحمد في « المسند » (٢/ ٤٨١) والبخاري في « الأدب المفرد » (حديث ٢٨٥) .

وعند أحمد زيادة بنفس الإسناد الصحيح : « **إذا فقهوا** » .

● **وسئل[١] النبي ﷺ فقيل له : يا رسول اللّه ما خيرُ ما أعطي الإنسان؟ قال : « خلقٌ حسن » .**

● **ولحسن الخلق تأثير هائل في الدعوة إلى اللّه ، وله عظيم الأثر في نفوس المدعوين.**

فإذا كان للشخص رصيدٌ طيب من حسن الخُلق كانت دعوته أنفع وأنجع وأولى بالقبول عند الناس . ومن ثمَّ أثار رسول الله ﷺ شيئًا من هذا الرصيد في بداية بعثته ، ألا وهو صِدْقُهُ في الحديث ﷺ فقال للمشركين : «**أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً تخرج بسفح هذا الجبل أكنتم مصدقيَّ ؟!» قالوا : ما جربنا عليك كذبًا**[٢] !

● وأثار نحو هذا أيضًا عند مجيء اليهود إليه بالمدينة ، فأثار الخير الذي في عبد الله بن سلام بقوله : « **أي رجل فيكم عبد الله بن سلام ؟** »، فقالوا : سيدنا وابن سيدنا وخيرنا وابن خيرنا ، وها هو الحديث بذلك .

أخرج البخاري[٣] من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال : أقبل النبي ﷺ المدينة. . فذكر الحديث وفيه إسلام عبد الله بن سلام رضي الله عنه.

---

(١) أخرجه البخاري في « الأدب المفرد » (حديث ٢٩١) وأحمد في « المسند » (٢٧٨/٤) وابن ماجة (٣٤٣٦) من حديث أسامة بن شريك مرفوعًا **بإسناد صحيح** .

(٢) أخرجه البخاري (٤٨٠١) ومسلم (حديث ٢٠٨) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما ، واللفظ لمسلم ، وفي لفظ البخاري : « **أرأيتم لو أخبرتكم أن العدو يصبحكم أو يُمسِّيكم أما كنتم تصدقونني** »، قالوا : بلى ، قال: «**فإني نذيرٌ لكم بين يدي عذاب شديد**».

(٣) البخاري (٣٩١١) .

وفيه أيضًا أن عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال : وقد علمت يهود أني سيدهم وابن سيدهم وأعلمهم وابن أعلمهم ، فادعهم فاسألهم عني قبل أن يعلموا أني قد أسلمت ، فإنهم إن يعلموا أني قد أسلمت قالوا فيَّ ما ليس فيَّ فأرسل نبي الله ﷺ فأقبلوا فدخلوا عليه ، فقال لهم رسول الله ﷺ : « **يا معشر اليهود : ويلكم اتقوا اللَّه فواللَّه الذي لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أني رسول اللَّه حقًّا وأني جئتكم بحق فأسلموا** » ، قالوا : ما نعلمه قالوا للنبي ﷺ قالها ثلاث مرار . قال : « **فأي رجل فيكم عبد اللَّه بن سلام ؟** » قالوا : ذاك سيدنا وابن سيدنا وأعلمنا وابن أعلمنا قال : «**أفرأيتم إن أسلم ؟**» قالوا : حاشا للَّه ما كان ليُسلم . قال : « **يا ابن سلام اخرج عليهم** » فخرج فقال : يا معشر اليهود ، اتقوا الله ، فوالله الذي لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أنه رسول الله ، وأنه جاء بحق فقالوا : كذبت ، فأخرجهم رسول الله ﷺ .

● وتقدم قوله تعالى : ﴿ **وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ** ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وأخرج مسلم[١] في « صحيحه » من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال : بينما نحن في المسجد مع رسول الله ﷺ إذ جاء أعرابيٌّ . فقام يبول في المسجد . فقال أصحاب رسول الله ﷺ : مَهْ مَهْ[٢] . قال : قال رسول الله ﷺ : « **لا تُزْرِمُوه . دَعُوه** » فتركوه حتى بال . ثم إن رسول الله ﷺ دعاه فقال له : « **إن هذه المساجد لا تصلح لشيءٍ من هذا البول ولا**

(١) مسلم (حديث ٢٨٥) .

(٢) مَهْ مَهْ : كلمة للزجر .

القذر . **إنما هي لذكر اللّه عز وجل ، والصلاة ، وقراءة القرآن** » ، أو كما قال رسول الله ﷺ . قال : فأمر رجلاً من القوم ، فجاء بدلو من ماءٍ ، فشنَّه[١] عليه .

وانظر إلى ما رواه مسلم[٢] رحمه الله من حديث معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه قال : بينا أنا أصلي مع رسول الله ﷺ . إذ عطس رجلٌ من القوم . فقلت : يرحمك الله ! فرماني القوم بأبصارهم[٣] فقلت : واثُكْلَ أُمِّيَـاهْ[٤] ! ما شأنكم[٥] تنظرون إليَّ ؟ فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم . فلما رأيتهم يصمتونني[٦] لكني سكتُّ . فلما صلى رسول الله ﷺ . **فبأبي هو وأمي ! ما رأيت معلمًا قبله ولا بعده أحسن تعليمًا منه** . فوالله! ما كهرني[٧] ولا ضربني ولا شتمني . قال : « **إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيءٌ من كلام الناس إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن** » .

● ولما سأل هرقلُ[٨] أبا سفيان عن رسول الله ﷺ فقال له : ماذا يأمركم ؟ قال : يقول : اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئًا واتركوا ما يقول آباؤكم ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة . .

---

(١) فشنَّه : أي : فصبَّه .

(٢) مسلم (حديث ٥٣٧) .

(٣) رماني القوم بأبصارهم : أي : زجروني بالنظر إليَّ .

(٤) واثكل أمياه : معناها : وافقد أمي إياي فإني هلكت .

(٥) ما شأنكم : أي : ما حالكم وما أمركم .

(٦) يُصمتونني : أي : يسكتونني .

(٧) ما كهرني : أي : ما قهرني وما نهرني .

(٨) البخاري (حديث ٧) .

وقبل ذلك سأله هرقل أيضًا فقال : فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ قال : لا .

وسأله أيضًا فهل يغدر ؟ قال : لا .

من ثمَّ قال هرقل لأبي سفيان : (فإن كان ما تقول حقًّا فسيملك موضع قدمي هاتين ، وقد كنت أعلم أنه خارج لم أكن أظن أنه منكم فلو أني أعلم أني أخلص إليه لتجشمت لقاءه ، ولو كنت عنده لغسلت عن قدمه).

فانظر إلى آثار حسن الخُلق من توحيدٍ وصلاةٍ وصدقٍ وعفافٍ وصلةٍ؟!!

● ولهذا الفضل العظيم والثواب الجسيم في حُسن الخلق فقد كُلِّلَت به العبادات وزُيِّنت به المعاملات وتوِّجت به العادات فما من عبادة يُتقرب بها إلى الله سبحانه وتعالى إلا وهي مزينة بحسن الخلق ، وما من معاملة بين الناس إلا وقد جاء فيها الحث على حسن الخلق ، وما من عادة من العادات التي أقرها الإسلام وجاء بها إلا وهي مصحوبة بحسن الخلق .

● ففي الصلوات قال النبي ﷺ : « **إذا سمعتم الإقامة فامشوا إلى الصلاة وعليكم بالسكينة والوقار** »[١] .

وفي رواية أخرى : « **إذا أتيتم الصلاة فعليكم بالسكينة** »[٢] .

● ومن ثمرات الصلوات ما ذكره الله في كتابه ﴿**إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ**﴾ [العنكبوت: ٤٥] .

(١) البخاري (حديث ٦٣٦) ومسلم (حديث ٦٠٢) من حديث أبي هريرة مرفوعًا .
(٢) البخاري (حديث ٦٣٥) . من حديث أبي قتادة رضي الله عنه مرفوعًا .

• وفي الصيام قال الله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴾ [البقرة: ١٨٣] .

وقال النبي ﷺ[١] : « **الصيام جُنَّة ، فلا يرفث ولا يجهل وإن امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل إني صائم - مرتين..** » .

وقال عليه الصلاة والسلام[٢] : « **من لم يَدَعْ قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه** » .

• وفي الحج قال الله تعالى : ﴿ **فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ فِي الْحَجِّ** ﴾ [البقرة: ١٩٧] .

• وفي الزكاة قال تعالى : ﴿ **خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا** ﴾ [التوبة: ١٠٣].

وقال تعالى : ﴿ **قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى** ﴾ [البقرة: ٢٦٣]

وقال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأَذَىٰ** ﴾ [البقرة: ٢٦٤] .

• وفي المعاشرة الزوجية قال تعالى : ﴿ **فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ** ﴾ [البقرة: ٢٢٩].

---

(١) البخاري (حديث ١٨٩٤) ومسلم (١١٥١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

(٢) البخاري (١٩٠٣) .

وقال تعالى : ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ [النساء: ١٩] .

● وفي البيوع ونحوها قال عليه الصلاة والسلام : « **من غشنا فليس منا** »(١) وقال : « **إن خياركم أحسنكم قضاءً** »(٢) .

وهكذا في سائر الأمور(٣) .

قال النبي ﷺ : « **إن الله كتب الإحسان على كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القِتْلة ، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح وليُحدَّ أحدكم شفرته فليُرح ذبيحته** »(٤) .

● وانظر إلى فضل حسن الخلق والتأدب مع حديث رسول الله ﷺ :

قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [الحجرات: ٣] .

● فالحمد لله على هذا الدين القيم الطيب .

● الحمد لله على هذه الحنيفية السمحة .

﴿ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ ﴾ [البقرة: ١٣٨].

● **هذا وللأخلاق فقه كما أن للعبادات فقهًا !!**

للشجاعة فقهٌ وللحياء فقهٌ وللكرم فقهٌ ولسائر الأخلاق فقه !!

* فقد يظن شخصٌ أنه شجاع مغوار وهو طائش متهور !!!

---

(١) ، (٢) كلاهما صحيح وسيأتي تخريجهما إن شاء الله .

(٣) والمقام لا يتسع للاستفاضة في ذلك .

(٤) أخرجه مسلم (حديث ١٩٥٥) من حديث شداد بن أوس رضي الله عنه مرفوعًا .

* وقد يظن شخص أنه صادق الحديث قوالٌ بالحق وهو مغتابٌ نمام!!!

* قد يُبالغ الشخص في اللين وخفض الجناح حتى يصل إلى الاستسلام والضعف والخور !!

* والشدة في موطن يحتاج إلى رفق تُعد نوعًا من أنواع التهور والطيش!!

* والتراخي في موطنٍ يحتاج إلى حزم يُعد نوعًا من أنواع الضعف !!

* وقد يصل الكرم بالشخص أحيانًا إلى حد التبذير ، ويكون الشخص في عداد المسرفين المبذرين وهو يظن أنه من الكُرماءِ الممدوحين!!

* وقد يظن الشخص أنه ينفع أخاه بالثناءِ الزائد عليه وهو في الحقيقة يقطع عنقه ويذبحه ذبحًا بغير سكين !!!

* ومن الناس من تكفيه الإشارة لردعه وزجره ونهيه عما هو فيه !

* ومنهم من يحتاج إلى نوع من نوعي البيان ، القلم أو اللسان !

* ومنهم من لا يصلح معه لزجره إلا الضرب بالسياط !

قال تعالى : ﴿ **لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ...** ﴾

[الحديد: ٢٥]

* فخصال الناس تختلف وطبائعهم تتنوع وأحوالهم لها اعتبار عند التعامل معهم ، وأوضاعهم وظروفهم تحتم علينا نوعًا من التعامل يختلف من شخصٍ إلى شخصٍ آخر . وكي يوفق المرءُ في التعامل مع الناس عليه

أن يعرف الداء وأن يعرف أيضًا الدواء ، عليه أن يكون مُلمًّا بأكبرِ قدرٍ ممكن من الكتاب والسنة وسيرة الرسول ﷺ وأصحابه ، ومعاملات الرسول ﷺ والناس ، ومُلِمًّا أيضًا بأحوال العباد ، ويُنزل الدليل من الكتاب والسنة منزلته الصحيحة ، ويعطي كل واقعةٍ ما يليق بها من المعاملة الحسنة معها ، وهذا من الحكمة ، من الحكمة أن تضع الدليل الصحيح في موقعه الصحيح .

فكم من شخص يحمل قدرًا كبيرًا من الكتاب والسنة لكنه لا يعرف كيف ينزل هذا الدليل ولا أين يضع هذه الآية وهذا الحديث !!

مثل ذلك كمثل صيدلي صيدليته كلها دواء ، لكن قد يأتيه مريض فيعطيه دواءً ليس هو بدواء ذلك الداء ، فلا يبرأ المريض ، بل يزداد مرضًا إلى مرضه وألمًا إلى ألمه ووجعًا إلى وجعه !

ولكن إذا صُرف الدواء بناءً على وصف طبيبٍ فاهمٍ في طبه وتخصصه، بارعٍ في عمله أصاب الدواء الداء فشفي المريض بإذن الله .

* وكذلك حامل الكتاب والسنة عليه أن ينزل كل دليل منزلته وكل تصرفٍ في موقعه ، وصدق الرسول ﷺ إذ يقول : « **رب مبلَّغ يبلغه من هو أوعى له منه** »[1] .

وصدق عليه الصلاة والسلام إذ يقول : « **من يرد اللَّه به خيرًا يفقهه في الدين** »[2] .

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٦٧) ومسلم (١٦٧٩) من حديث أبي بكرة رضي الله عنه مرفوعًا : « وفيه ليبلِّغ الشاهد الغائب فإنه . . ».

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٧١) ومسلم (حديث ١٠٣٧) من حديث معاوية رضي الله عنه مرفوعًا .

وصدق الله إذ يقول : ﴿ **يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ** ﴾ [البقرة: ٢٦٩].

* وكذلك فاقد الكتاب والسنة كيف يعالج الناس ، والدواء ليس بين يديه !!

قد يجتهد برأيه فيخطئ برأيه ويضل ! وهذا الغالب ، فنصوص الكتاب والسنة بصائر يستبصر بها العبد ، ومنارات يُستضاء بها في الظلمات .

* * فحملني هذا الذي ذكرتُ من فضل حسن الخلق ، والحاجة الماسة إلى فقه الأخلاق إلى جمع جملة من النصوص من كتاب الله ومن سنة رسول الله ﷺ في هذا الباب وإتباع ذلك بشيء من الوارد في فقه هذه النصوص ، وتنزيل ذلك على واقع الناس في كثيرٍ من الأحيان .

● وحرصي زائدٌ ، والحمد لله ـ على أن أزفَّ للقارئ الكريم كمًّا هائلاً من سنة رسول الله ﷺ وسيرته ـ التي وردت بأسانيد صحيحة ـ في ثوب قشيب وسياق جميل ممتثلاً حديث رسول الله ﷺ : « **نضَّر اللَّه امرءًا سمع مقالتي فوعاها ثم أداها كما سمعها** » .

● وقد أشرت ، والحمد لله ـ إلى ما يتم به النفع من مصادر التخريج التي وردت فيها الأحاديث المذكورة ، وكذلك الحكم على هذه الأحاديث بما تستحقه صحة أو ضعفًا على وجه الاختصار ، فلا معنى ولا كبير فائدة لعزو الحديث إلى الطبراني مثلاً أو إلى أبي نعيم في « الحلية » والحديث في « صحيح البخاري ومسلم » إلا إذا كان في سياق الطبراني فائدة ، وفي الغالب فمفاريد الطبراني وغيره من المتأخرين فيها كلام.

● وكذلك كلما وجدت سبيلاً إلى إيراد ما يتعلق بآية من تفسير ، سلكت هذا السبيل ، فإنه يعنيني بصورة كبيرة جدًّا أن يمتلئَ سمع القارئ وبصره وفؤاده بكلام الله وكلام رسول الله ﷺ ، ثم أقوال أهل العلم والفضل، والله المستعان .

● هذا وفي الحقيقة أنني لم أرد الاستقصاء في الأبواب التي أوردها إنما فقط أشير إشارات وأُنبه تنبيهات حتى تتولد عند القارئ ملكة للنظر في فقه الأخلاق ويعرف كيف يتعامل مع الناس وكيف يستنبط من النصوص وكيف يُنزلها على الواقع .

* فهي إشاراتٌ وأبحاثٌ ولفتاتٌ لتفتيح الأذهان وتوسيع الآفاق وتنمية المدارك ، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

* وقد حرصت ، بتوفيق الله ـ على أن يكون هذا الكتاب سهل التناول أيضًا لعامة المسلمين قريب الفائدة بعيدًا عن التعقيد ، مُجانبًا للملل .

* ثم إنني قد كنت كتبت على هذا المنوال كتابًا في هذا المضمار ، وإن كان أخص في موضوعه من الكتاب الذي بين يديَّ الآن ، وهذا الكتاب الذي كنت قد كتبته هو كتاب « فقه التعامل بين الزوجين » وهو أحد أفراد هذا العام الذي بين يديَّ ، فلذلك لم أتعرض كثيرًا لما يتعلق بفقه التعامل بين الزوجين، وأُحيل إلى كتابي المشار إليه .

أما الكتاب الذي بين يديَّ الآن فقد وسمته بـ « فقه الأخلاق والمعاملات بين المؤمنين » ، ولما رأيت أن حجمه قد اتسع عليَّ رأيت أن أقدمه في أجزاء ، وهذا الذي بين يديّ طليعةٌ لهذه الأجزاء ، أسأل الله إتمامها على خير .

هذا ، وأسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يجعل هذا الكتاب شافيًا لصدور قومٍ مؤمنين ، ومنقذًا لهم من الظلمات ، ومقيلاً لهم من العثرات ، ورافعًا لهم في الدرجات .

وأسأل الله أن ينفعني به يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

ثم ما كان من توفيق في هذا الكتاب فمن الله وحده فله الحمد وله الشكر وله الثناء الحسن ، وما كان من خطأ فمن نفسي ومن الشيطان ، والله ورسوله بريئان منه ، والله أسأل أن يغفر لي زلتي وأن يقيل عثرتي وأن يستر عورتي ويؤمن روعتي ويسكنني مع أهلي والمؤمنين الفردوس .

وصل اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

كتبها

أبو عبد اللَّه / مصطفى بن العدوي شلبايه

مصر ـ الدقهلية ـ منية سمنود

من أصول النجاح في المعاملات مع المؤمنين :

مراقبة الله عز وجل والعمل ابتغاء وجهه سبحانه وتعالى

• فمن أعظم أسباب النجاح في التعاملات مع الناس ، بل أعظمها على الإطلاق أن تبني أعمالك وتنشئ تصرفاتك كلها معهم ابتغاء وجه الله وطلبًا لثوابه ومرضاته .

• فإذا أعطيتَ تُعطي لله ، وإذا منعت تمنع لله ! ،

وإذا أحببت تحب لله ، وإذا أبغضت تبغض لله !

إذا خاصمت تخاصم لله ، وإذا حاكمت تحاكم لله !!

وإذا صبرت تصبر لله ، وإذا غضبت تغضب لله !

وهكذا في شئونك كلها معهم ، وبهذا جاءت الأدلة من كتاب الله تبارك وتعالى ومن سنة رسول الله ﷺ ، فضلاً عن كون ذلك من البديهيات التي يعرفها كلُّ مؤمن .

• ففي الإنفاق والإطعام والعطاء :

• قال الله تعالى : ﴿ **وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُورًا** ﴾[الإنسان: ٨، ٩].

• وقال سبحانه : ﴿ **الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ ﴿١٩﴾ إِلاَّ ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ** ﴾

[الليل: ١٨ - ٢١]

● وقال تعالى : ﴿ وَمَا تُنفِقُونَ إِلاَّ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ ﴾ [البقرة: ٢٧٢].

● وقال سبحانه : ﴿ وَمَا آتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلا يَرْبُو عِندَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ﴾ [الروم: ٣٩].

● **وفي الإصلاح كذلك بين الناس** لا تصلح بينهم ليقال عنك مُصلح، بل أصلح بينهم ابتغاء رضوان الله وابتغاء ما عند الله .

● قال الله تبارك وتعالى : ﴿ لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ١١٤].

فعليك أن تتناجى بالخير ابتغاء مرضات الله .

وعليك أن تأمر بالصدقة والمعروف ابتغاء مرضات الله .

وعليك أن تصلح بين الناس ابتغاء مرضات الله .

ذلك كله حتى تُؤتى الأجر العظيم .

● **وكذلك في الصبر على أذى الناس :**

إذا صبرت لا تصبر ليُقال عنك صابر !

لا تصبر خوفًا على صحتك !

لا تصبر لكون الطرق مغلقة إلا طريق الصبر !

ولكن اصبر ابتغاء وجه ربك وابتغاء ثواب ربك !

قال الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ

وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٢] .

● وإذا شهدت شهادة اشهد للَّه :

قال تعالى : ﴿**وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ**﴾ [الطلاق: ٢] .

فلا تشهد ليُقال عنك قوالٌ بالحق .

ولكن اجعل شهادتك وكلمتك لله سبحانه .

طلبًا لثوابه وابتغاء رضوانه .

● **إذا تعلَّمت فتعلَّم للَّه** ، وإذا جاهدت فجاهد لله ، وإذا أنفقت فأنفق لله ، فإنك إذا تعلمت ليقال عالم سعِّرت بك النار ، وكذلك إذا جاهدت ليقال مجاهد ، وكذلك إذا أنفقت ليُقال عنك منفق ، وبهذا جاء الحديث عن رسول الله ﷺ .

ففي « صحيح مسلم »[1] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه، رجلٌ استشهد . فأتي به فعرفه نعمه فعرفها . قال : فما عملت فيها ؟ قال : قاتلت فيك حتى استشهدت . قال : كذبت . ولكنك قاتلت لأن يقال جريءٌ . فقد قيل . ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار . ورجلٌ تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن . فأتي به . فعرفه نعمه فعرفها . قال : فما عملت فيها ؟ قال : تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن . قال : كذبت ولكنك تعلمت العلم ليقال عالمٌ . وقرأت القرآن ليقال هو قارئٌ . فقد قيل . ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار . ورجلٌ وسَّع اللَّه عليه وأعطاه من**

(١) مسلم (حديث ١٩٠٥) .

أصناف المال كله . فأتي به فعرفه نعمه فعرفها . قال : فما عملت فيها ؟ قال: ما تركت من سبيلٍ تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك . قال : كذبت . ولكنك فعلت ليقال هو جوادٌ ، فقد قيل . ثم أمر به فسحب على وجهه . ثم ألقي في النار » .

● اجعل صلاتك للَّه، ونُسكك للَّه، وحياتك كلها للَّه، ومماتك للَّه.

﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣] .

● وجاءت نصوص السنة بذلك أيضًا :

* قال النبي ﷺ في بيان السبعة الذي يُظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله : « **رجلان تحابا في اللَّه اجتمعا عليه وتفرقا عليه** »(١) .

* وقال النبي ﷺ : « **ثلاثٌ من كُنَّ فيه وجد حلاوة الإيمان : أن يكون اللَّهُ ورسولُهُ أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا للَّه ، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يُقذف في النار** »(٢) .

* وقال عليه الصلاة والسلام : « **من أحب للَّه وأبغض للَّه وأعطى للَّه ومنع للَّه فقد استكمل الإيمان ..** »(٣) .

---

(١) البخاري (حديث ٦٦٠) ومسلم (حديث ١٠٣١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

(٢) البخاري (حديث ١٦) من حديث أنس رضي الله عنه مرفوعًا، ومسلم (حديث ٤٣).

(٣) أخرجه أبو داود (٣٦٨١) بإسناد حسن من حديث أبي أمامة رضي الله عنه مرفوعًا، وله شاهد عند أحمد (٣/ ٤٤٠) من حديث معاذ الجهني رضي الله عنه مرفوعًا بزيادة «وأنكح لله ».

* وكما قال عليه الصلاة والسلام : « **إنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أُجرت عليها حتى ما تجعل في فيّ امرأتك** »[١] .

وفي الحديث كذلك : « **إذا أنفق المسلم على أهله ـ وهو يحتسبها ـ كانت له صدقة** »[٢] .

* وفي « صحيح مسلم »[٣] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **إن الله يقول يوم القيامة : أين المتحابون بجلالي اليوم أظلهم في ظلّي يوم لا ظل إلا ظلّي** » .

* وفيه أيضًا[٤] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ : «**أن رجلاً زار أخًا له في قرية أخرى فأرسل الله له على مَدْرَجَته ملكًا فلما أتى عليه قال : أين تريد ؟ قال : أريد أخًا لي في هذه القرية ، قال : هل لك من نعمة تربُّها ؟ قال : لا ، غير أني أحببته في الله عز وجل ، قال : فإني رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه** » .

* وفي «مسند الإمام أحمد»[٥] من طريق أبي مسلم الخولاني رحمه الله قال : أتيت مسجد أهل دمشق فإذا حلقة فيها كهول من أصحاب النبي ﷺ، وإذا شاب فيهم أكحل العين براق الثنايا كلما اختلفوا في شيء ردوه

---

(١) البخاري (حديث ٥٦) ومسلم (ص١٢٥١) من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه مرفوعًا .

(٢) البخاري (حديث ٥٣٥١) ومسلم (حديث ١٠٠٢) .

(٣) مسلم (حديث ٢٥٦٦) .

(٤) مسلم (حديث ٢٥٦٧).

(٥) أحمد (٥/٢٣٦) وهو **صحيح** بمجموع طرقه .

إلى الفتى فتى شاب قال : قلت لجليس لي : من هذا قال : هذا معاذ بن جبل قال : فجئت من العشي فلم يحضروا قال : فغدوت من الغد فلم يجيئوا فرحت فإذا أنا بالشاب يصلي إلى سارية فركعت ثم تحولت إليه قال : فسلم فدنوت منه فقلت : إني أحبك في الله قال : فدنا إليه قال : كيف قلت ؟ قلت : إني لأحبك في الله قال : سمعت رسول الله ﷺ يحكي عن ربه يقول : « **المتحابون في اللّه على منابر من نور في ظل العرش يوم لا ظل إلا ظله** » قال : فخرجت حتى لقيت عبادة بن الصامت فذكرت له حديث معاذ بن جبل فقال : سمعت رسول الله ﷺ يحكي عن ربه عز وجل يقول : « **حقت محبتي للمتحابين فيَّ ، وحقت محبتي للمتباذلين فيَّ ، وحقت محبتي للمتزاورين فيَّ ، والمتحابون في اللّه على منابر من نور في ظل العرش يوم لا ظل إلا ظله** » .

وفي رواية للترمذي[١] لهذا الحديث مختصرة : « **قال اللّه عز وجل : المتحابون في جلالي لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء** » .

● **وإذا أحببت القوم للّه وفي اللّه حُشرت معهم يوم القيامة .**

ففي « الصحيحين »[٢] من حديث أبي موسى رضي الله عنه : قيل للنبي ﷺ : الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم ؟ قال : « **المرء مع من أحب** ».

---

(١) الترمذي (٢٣٩٠) من حديث معاذ وإسنادها حسن .

(٢) البخاري (٦١٧٠) ومسلم (ص٢٠٣٤) وقد وقع لأبي وائل شيخان في هذا الحديث فرواه أبو وائل مرة عن أبي موسى ومرة عن ابن مسعود ، وكلا الطريقين صحيح وانظر « علل ابن أبي حاتم » (٢/ ٣٧٢) .

• **راقب اللَّه في تصرفاتك مع الناس فأعمالك يراها اللَّه**

قال النبي ﷺ : « **الإحسان أن تعبد اللَّه كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك** »[1] .

• وقال تعالى : ﴿ **يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى** ﴾ [طه: ٧].

• وقال سبحانه : ﴿ **الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ** ﴾ [الشعراء: ٢١٨، ٢١٩].

• وقال سبحانه : ﴿ **مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** ﴾ [المجادلة: ٧] .

﴿ **وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ** ﴾ [التوبة: ١٠٥].

﴿ **وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ** ﴾ [سبأ: ١١].

﴿ **وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ** ﴾ [البقرة: ١٥٨].

• **وإرضاء الناس كلهم غاية لا تدرك**، فإنك لا تكاد ترضي هذا حتى يسخط عليك هذا؛ فاجعل رضى الله عنك مطلبًا لك ومبتغى تبتغيه وغاية تنشدها حتى لا تندم على أفعال الخير وصنائع المعروف التي تقدمها للناس وخاصة الجاحدين الذين يجحدون المعروف وينكرون الإحسان ويجعلون إحسانك إليهم جزءًا من الواجب لهم عليك والحق المقرر لهم عندك !!!

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ١) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه مرفوعًا .

● فلا تُرضِ الناس بسخط الله عليك ، بل أطع الله فيهم واتق الله فيهم فإن النبي ﷺ قد قال : « **من أرضى اللَّه بسخط الناس كفاه اللَّه الناس ومن أسخط اللَّه برضا الناس وكله اللَّه إلى الناس** »(١) .

وإذا تركت شيئًا فاتركه للَّه :

وقال رسول الله ﷺ : « **إنك لن تدع شيئًا اتقاء الله جل وعزَّ إلا أعطاك اللَّه خيراً منه** »(٢) .

وحتى لا تندم

وكما أسلفنا فعليك أن تحرص غاية الحرص على أن يكون عطاؤك للَّه ومنعك للَّه وأخذك للَّه وحبك للَّه وبغضك في اللَّه وشئونك كلها للَّه ، وذلك حتى لا تندم على خيرٍ صنعته ، فسجايا الناس تختلف ، وطبائعهم تتنوع ، فقد تحسن إلى شخص غاية الإحسان ويقابل ذلك بمنتهى الجحود والكفران فحتى لا تُصدم بمعاملة الناس السيئة وبجحودهم وكفرانهم عليك أن تخلص الأعمال كلها للَّه .

وأذكرك أخي الكريم بقصة ذلك الرجل الذي تصدق فوقعت صدقته في يد سارق ثم تصدق فوقعت صدقته في يد زانية ثم تصدق فوقعت صدقته في يد غني ، وهو لا يعلم ، ومع ذلك كله فإن صدقته تقبلها الله عز وجل لما

---

(١) أخرجه عبد بن حميد في « المنتخب » (بتحقيقي حديث ١٥٢٢) من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ ، **وإسناده صحيح** .

(٢) أخرجه أحمد في « المسند » (٥/ ٧٨ ـ ٧٩) من حديث رجلٍ بدوي عن رسول الله ﷺ ، **وإسناده صحيح** .

علمه الله من نيته وحرصه على مرضاة ربه وها هي قصته ، وهذا هو حديثه :

• أخرج البخاري ومسلم[(١)] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **قال رجلٌ : لأتصدقن بصدقة ، فوضعها في يد سارق، فأصبحوا يتحدثون : تصدق على سارقٍ . فقال : اللهم لك الحمد ، لأتصدقن بصدقة . فخرج بصدقته فوضعها في يدِ زانيةٍ ، فأصبحوا يتحدثون : تصدق الليلة على زانيةٍ . فقال : اللهم لك الحمد ، على زانيةٍ ، لأتصدقن بصدقة . فخرج بصدقته فوضعها في يدي غنيٍّ ، فأصبحوا يتحدثون : تصدق على غنيٍّ . فقال : اللهم لك الحمد ، على سارقٍ ، وعلى زانيةٍ ، وعلى غنيٍّ . فأُتي فقيلَ له : أما صدقتك على سارق فلعله أن يستعف عن سرقته ، وأما الزانية فلعلها أن تستعف عن زناها ، وأما الغنيُّ فلعله أن يعتبر ، فينفق مما أعطاه الله** » .

• ونحوه ما أخرجه البخاري[(٢)] من حديث معن بن يزيد رضي الله عنهما قال : بايعتُ رسول الله ﷺ أنا وأبي وجدي ، وخطب علي فأنكحني وخاصمت إليه . وكان أبي يزيد أخرج دنانير يتصدق بها ، فوضعها عند رجل في المسجد ، فجئت فأخذتها فأتيته بها فقال : والله ما إياك أردت. فخاصمته إلى رسول الله ﷺ فقال : « **لك ما نويت يا يزيد ، ولك ما أخذت يا معن** » .

---

(١) البخاري (حديث ١٤٢١) .

(٢) البخاري (حديث ١٤٢٢) .

• وكما أسلفنا فطبائع الناس وسجاياهم تختلف ، وإن كانوا من أهل الإسلام ، فكثيرٌ منهم لم يتأدب بآداب الإسلام ولم يتخلق بأخلاق المسلمين .

• فمنهم المحسن ، ومنهم المسيء!

• منهم المصلح ، ومنهم المفسد !

• منهم الصالحون ، ومنهم دون ذلك كانوا طرائق قددًا .

• منهم من يبحث عن أهل الفقر والمسكنة والقلَّة والحاجة كي يتصدق عليهم ، ومنهم من يبحث عن هؤلاء ليظلمهم ويتسلط عليهم !

• منهم من يبحث عن الأيتام ليكفلهم ويحنو عليهم ويطعمهم ويسقيهم ويكسوهم ، ومنهم من يأكل أموال اليتامى ظلمًا !

• منهم من يعمر مساجد اللَّه ، ومنهم من يسعى في خرابها !

• منهم مفاتيح للخير ومغاليق للشر ، ومنهم مغاليق للخير مفاتيح للشر !

• منهم من يشتري مصحفًا للمسجد ، ومنهم من يسرق المصاحف من المساجد ، بل ويسرق حصير المسجد كذلك !

• منهم من يدعو إلى اللَّه وإلى سنة رسول الله ﷺ ، ومنهم من يحارب ذلك وهو يشعر أو لا يشعر !

• منهم من يصلح بين الناس ، ومنهم من يمشي بينهم بالنميمة والفساد!

● منهم من تحسن إليه ، ويسيء إليك !

تريد له الستر ، ويريد لك الفضيحة !

تريد له الغنى ، ويريد لك الفقر !

تحبه ، ويبغضك !

تريد حياته ، ويريد قتلك !

وكما قال القائل :

علمته الرَّمي فلما ⁖ اشتد ساعده رماني

تدخله بيتك لإكرامه ويدخل بيتك لتتبع العورات !

هذه طوائفُ وفرق !!

● وهناك طوائف صالحة نقية تقية ، تقابل الإحسان بالإحسان ، وتقابل المعروف بالشكر والعرفان .

فهي أخلاقيات قدرها اللَّه بين العباد وقسمها كما تقسم الأرزاق !

وإن كان هؤلاء أهل إسلام ويشملهم مسمى المسلمين !!

● ألا ترى إلى قاتل عليٍّ ؟!! إنه رجل مسلم يشهد ألا إله إلا الله وأن محمدًا رسول اللَّه .

● ألا ترى إلى القائل الذي قال لرسول الله ﷺ : اعدل يا محمد فإنك لم تعدل [١] ؟!! إنه رجل يقول بلسانه : لا إله إلا الله محمد رسول الله .

---

(١) البخاري (حديث ٣٦١٠) ومسلم (ص٧٤٤) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ولفظه : « يا رسول الله اعدل » والقائل رجلٌ من تميم يقال له (ذو الخويصرة) .

ومسلم أيضًا من حديث جابر رضي الله عنه ولفظه : « يا محمد اعدل » .

والقائل رجل أتى رسول الله ﷺ بالجعرانة (مسلم ١٠٦٣) وعند ابن ماجه ولفظه : =

● ألا ترى إلى القائل عن قسمة رسول الله ﷺ : هذه قسمة ما أُريد بها وجه الله[١] ؟! إنه رجل كذلك يشهد ألا إله إلا الله .

● ألا ترى إلى بعض قذفة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ؟ إنه مسلم بدري[٢] صحابيٌّ قريبٌ لها وكان أبو بكر يكرمه وينفق عليه !!

فليكن رجاؤك إذا أحسنت إلى الناس ثواب اللَّه ، وليكن مطلبك رضا اللَّه عنك حتى لا تندم .

وحتى لا تفاجأ بما لا يسرك من تصرفات هؤلاء البشر !!

● فاجعل هذا نصب عينيك لا تخطئه ولا تغفل عنه ولا تشرد بقلبك بعيدًا فإنك إن أخطأت وغفلت وشردت ضللتَ وما كنت من المهتدين .

* * *

= «اعدل يا محمد فإنك لم تعدل » (ابن ماجه حديث ١٧٢) .

(١) هى في « الصحيحين » من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال : قسم رسول الله ﷺ قسمًا فقال رجل : إنها لقسمة ما أُريد بها وجه الله . .

وفي رواية أخرى في « الصحيح » أيضًا : « إن هذه القسمة ما عُدل فيها وما أُريد فيها وجه الله » البخاري (٣٤٠٥) ومسلم (٣/ ١٠٥) مع النووي .

(٢) هو مسطح بن أثاثة رضي الله عنه .

أصل آخر من أصول النجاح في المعاملات مع المؤمنين: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾

هذا قول الله سبحانه وتعالى : ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠].

فعلى كل مسلم أن يضع هذا نصب عينيه عند التعامل مع المؤمنين ، عليه أن يضع في الاعتبار أن أهل الإيمان كلهم له إخوان ، وذلك حتى ينجح في تعاملاته معهم ، فذلك من أصول النجاح ، وقد دلت أدلة لا حصر لها من الكتاب والسنة على هذا الأصل ، أصل التآخي بين المؤمنين .

- قال الله تعالى: ﴿فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ﴾ [آل عمران:١٠٣]
- وقال تعالى : ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ [الحجرات: ١٢]
- وقال تعالى : ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ﴾ [البقرة: ١٧٨].
- وقال تعالى : ﴿فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾ [التوبة: ١١].
- وقال تعالى : ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ [الحشر: ١٠].

وقال عليه الصلاة والسلام : « **لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه** »(١) .

وقال ﷺ : « **وكونوا عباد الله إخوانًا** »(٢) .

---

(١) البخاري (حديث ١٣) ومسلم (حديث ٤٥) من حديث أنس رضي الله عنه مرفوعًا.

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٦٠٦٤) ومسلم (حديث ٢٥٦٣) من حـديث أبي هريرة =

وقال ﷺ : « **المسلم أخو المسلم** »[١] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « **لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث** »[٢] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « **تبسمك في وجه أخيك لك صدقة** »[٣] .

وقال ﷺ : « **والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه** »[٤] .

وقال ﷺ في شأن الغيبة : «**ذكرك أخاك بما يكره** »[٥] .

= رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ولا تحسسوا ولا تجسسوا ولا تنافسوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانًا » .

(١) أخرجه البخاري (حديث ٢٤٤٢) ومسلم (حديث ٢٥٨٠) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يُسلمه ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ، ومن فرَّج عن مسلم كُربة فرَّج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة ومن ستر مسلمًا ستره الله يوم القيامة » .

(٢) أخرجه البخاري (٦٠٦٥) ومسلم (حديث ٢٥٥٩) من حديث أنس رضي الله عنه مرفوعًا .

(٣) أخرجه الترمذي (١٩٥٦) **بإسناد فيه ضعف** ، ولكن له شاهد عند مسلم (مع النووي ٥/ ٤٨٣) بلفظ : « لا تحقرن من المعروف شيئًا ولو أن تلقى أخاك بوجهٍ طلْقٍ » .

(٤) أخرجه مسلم (حديث ٢٦٩٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من نفَّس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كُربة من كربات يوم القيامة ، ومن يسر على مُعسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ومن ستر مسلمًا ستره الله في الدنيا والآخرة والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه » .

(٥) أخرجه مسلم (٢٥٨٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «أتدرون ما الغِيبةُ ؟» قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : « ذكرك أخاك بما يكره » قيل : أفرأيت إن كان في أخي ما أقول ؟ قال : « إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته ، وإن لم يكن فيه فقد بهته» .

وقال عليه الصلاة والسلام في شأن الضرائر : « **لا يحل لامرأة تسأل طلاق أختها لتستفرغ صحفتها** »[(١)] .

وقال عليه الصلاة والسلام في شأن الخدم : « **إخوانكم خولكم** »[(٢)] .

● وفي البيوع قال ﷺ : « **لا يبع الرجل على بيع أخيه** »[(٣)] .

وقال ﷺ : « **أرأيت إن منع اللّه الثمرة بم تستحل مال أخيك** »[(٤)] .

وفي الخِطبة قال عليه الصلاة والسلام : « **ولا يخطب على خطبة أخيه**»[(٥)] .

● بل وفي المشاكل والمضاربات قال ﷺ : « **إذا قاتل أحدكم أخاه فلا يلطمن الوجه** »[(٦)] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « **لا يشير أحدكم على أخيه بالسلاح** »[(٧)].

● وكان النبي ﷺ دائم التذكير بهذا الأصل في أقواله وأقضيته بين

---

(١) البخاري (٥١٥٢) ومسلم (مع النووي ٣/ ٥٦٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

(٢) البخاري (حديث ٣٠) من حديث أبي ذر رضي الله عنه مرفوعًا.

(٣) البخاري (حديث ٢١٣٩) ومسلم (حديث ١٤١٢) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا .

(٤) البخاري (٢١٩٨) ومسلم (حديث ١٥٥٥) من حديث أنس رضي الله عنه مرفوعًا .

(٥) البخاري (حديث ٥١٤٢) ومسلم (ص١١٥٤) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا .

(٦) مسلم (مع النووي ٥/ ٤٧١) كتاب البر والصلة من حديث أبي هريرة مرفوعًا.

(٧) البخاري (حديث ٧٠٧٢) ومسلم (حديث ٢٦١٧) .

المؤمنين كما أسلفنا ، ومن ذلك أيضًا :

- قوله ﷺ : « **فمن قضيت له بحق أخيه بقوله فإنما أقطع له قطعة من النار ..** »[(١)] .

- وقوله ﷺ : « **انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا** » قالوا : يا رسول اللَّه هذا ننصره مظلومًا فكيف ننصره ظالمًا ؟! قال : « **تأخذ فوق يديه** »[(٣)] .

- وقوله ﷺ في شأن ضالة الغنم : « **لك أو لأخيك أو للذئب** »[(٣)] .

- وقوله ﷺ في التحلل من المظالم : « **من كانت له مظلمة لأخيه من عرضه أو شيء فليتحلل منه ..** »[(٤)] .

- وقوله ﷺ : « **لا تكونوا عون الشيطان على أخيكم ..** »[(٥)] .

---

(١) أخرجه البخاري (٢٦٨٠) ومسلم (١٧١٣) من حديث أم سلمة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ : « إنكم تختصمون إليَّ ولعل بعضكم ألحن بحجته من بعض ، فمن قضيت له بحق أخيه شيئًا بقوله فإنما أقطع له قطعة من النار فلا يأخذها » .

(٢) البخاري (حديث ٢٤٤٤) ، وفي رواية : « تحجزه أو تمنعه من الظلم فإن ذلك نصره » (البخاري ٢٩٥٢) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعًا .

- وعند مسلم (٢٥٨٤) من حديث جابر رضي الله عنه .. فذكر حديثًا عن رسول الله ﷺ وفيه : « ولينصر الرجل أخاه ظالمًا أو مظلومًا ، إن كان ظالمًا فلينهه فإنه له نصر ، وإن كان مظلومًا لينصره » .

(٣) البخاري (حديث ٢٤٢٧) ومسلم (حديث ١٧٢٢) من حديث زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه مرفوعًا .

(٤) البخاري (حديث ٢٤٤٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

(٥) البخاري (حديث ٦٧٨١) من حديث عمر رضي الله عنه مرفوعًا .

● وجاءت جملة نصوص أخر في هذا المعنى أيضًا :

● قال عليه الصلاة والسلام : « **المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا** »[١] .

● قال ﷺ : « **مثل المؤمنين في توادِّهم وتراحمهم وتعاطفهم مثلُ الجسد إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى** »[٢] .

وفي رواية أخرى قال ﷺ : « **المؤمنون كرجل واحد إن اشتكى رأسه تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر** »[٢] .

وفي رواية ثالثة : « **المسلمون كرجل واحد إن اشتكى عينه اشتكى كُلُّه وإن اشتكى رأسُهُ اشتكى كلُّهُ** »[٢] .

● وجاءت أيضًا نصوص الكتاب العزيز تؤكد أن المؤمنين نفس واحدة:

قال تعالى : ﴿ **وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ..** ﴾ [الحجرات: ١١] أي : لا تلمزوا إخوانكم .

وقال تعالى : ﴿ **لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا** ﴾ [النور: ١٢] ، أي : بإخوانهم .

وقال سبحانه : ﴿ **فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ** ﴾ [النور: ٦١].

قال بعض أهل العلم : على إخوانكم .

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٢٤٤٦) ومسلم (٢٥٨٥) من حديث أبي موسى رضي الله عنه مرفوعًا .

(٢) هذه الروايات عند مسلم (حديث ٢٥٨٦) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه مرفوعًا .

● فأثبتت هذه النصوص الأُخوة بين المؤمنين ، ولهذه الأخوة مستلزمات منها كما أسلفنا أن يحب المرء لأخيه ما يحبه لنفسه[١] ، فكما يحب لنفسه الربح يحب لأخيه الربح ، وكما يحب أن يُستر عليه فليحب كذلك أن يُستر على أخيه ، وكما يدعو لنفسه يدعو لأخيه ، وإذا رأى أن يشتد على أخيه فيشتد على أخيه من أجل مصلحة أخيه ويأخذ على يديه إن رآه يظلم الناس إلى غير ذلك من مستلزمات الأخوة والتوفيق بالله وهو المستعان .

* * *

(١) وانظر إلى هذه الخصلة النبيلة من عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، وحاول واجتهد أن تكون كذلك مع إخوانك ومع المسلمين .

أخرج الطبراني في « المعجم الكبير » **بإسناد صحيح** عن ابن بريدة الأسلمي قال : شتم رجل ابن عباس فقال ابن عباس : إنك لتشتمني وفيَّ ثلاث خصال : إني لآتي على الآية من كتاب الله عزَّ وجل فلوددت أن جميع الناس يعلمون ما أعلم منها ، وإني لأسمع بالحكم من حكام المسلمين يعدل في حكمه فأفرح به ولعلّي لا أقاضي إليه أبدًا ، وإني لأسمع بالغيث قد أصاب البلد من بلاد المسلمين فأفرح ومالي به من سائمة . أخرجه الطبراني « المعجم الكبير» (١٠٦٢١) ، وأبو نعيم في « الحلية » (١/ ٣٢١ ـ ٣٢٢) .

أصل ثالث من أصول النجاح في المعاملات مع المؤمنين: كثرة الاطلاع على كتاب اللَّه وسنة رسول اللَّه ﷺ والإلمام بأكبر قدرٍ ممكن من ذلك

فكما لا يخفى على اللبيب ، أن أحسن الكلام كلام الله عز وجل قال تعالى : ﴿ **اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ** ﴾ [الزمر: ٢٣].

وأن أصدق الحديث كتاب الله ، قال سبحانه : ﴿ **وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلاً** ﴾ [النساء: ١٢٢].

و« **خير الهدي هدي محمد ﷺ** »[1] ، كما قال النبي ﷺ .

وكذلك فرسولنا ﷺ لا ينطق عن الهوى ﴿ **وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَىٰ** ﴾ [النجم: ٣، ٤] ، فأكْثِر مِن حمل الكتاب والسنة ففيهما وفي حملهما والفقه فيهما الخير كل الخير، أكثر من حملهما فبهما تستضيء في طريقتك وفي مسالكك وفي تعاملاتك، فكم من حديث تحسم به مشكلة بين المسلمين، وكم من آية يُدفع بها شر عظيم عنك، بل وعن عموم المسلمين.

كم من حديث تتخلق به مع الناس ؛ فيجلب لك محبة الخالق ثم محبة الخلق !

كم من آية تقرؤها فترقق قلبك لفعل أشياء شتى من أبواب المعروف والبر !

---

(١) مسلم (حديث ٨٦٧) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما مرفوعًا .

وصدق الله إذ يقول : ﴿**يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُوا الأَلْبَابِ**﴾ [البقرة: ٢٦٩] .

وصدق رسوله ﷺ إذ يقول: «**من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين**»[١] .

وهذا كله فضلاً عن الأجر الأخروي المدخر لك .

● فإن الله سبحانه وتعالى قال : ﴿**يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ**﴾ [المجادلة: ١١].

● وقال النبي ﷺ : « **يقال لصاحب القرآن يوم القيامة اقرأ وارتق ورتِّل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها** »[٢] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « **نضَّر اللَّه امرأ سمع منا حديثًا فحفظه حتى يبلّغه فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه ، ورب حامل فقه ليس بفقيه** »[٣] .

● وأسوق إضافة إلى الآية الكريمة والحديث النبوي الشريف ـ أثرًا واحدًا فقط يبين فضل العلم بالكتاب والسنة ، وفضل الفقه في الدين ، وكيف أثَّر ذلك في طائفة كبيرة من الناس وعمل ما لم تعمله السيوف ، وكيف رجع الألوف إلى الحق بعد الضلال قبل القتل والقتال .

---

(١) البخاري (حديث ٧١) ومسلم (١٠٣٧) من حديث معاوية رضي الله عنه مرفوعًا.

(٢) أبو داود (٢/ ١٥٣) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما مرفوعًا **بإسناد حسن** .

(٣) **صحيح ومعناه متواتر** ، وانظر « سنن أبي داود » (حديث ٣٦٦٠) والترمذي (٢٦٥٦).

أخرج النسائي في « الخصائص » بسند حسن[١] عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لما خرجت الحرورية اعتزلوا في دارهم وكانوا ستة آلاف فقلت لعلي رضي الله عنه : يا أمير المؤمنين أبرد بالظهر لعلي آتي هؤلاء القوم فأكلمهم قال : إني أخاف عليك قلت : كلا ، قال : فقمت وخرجت ودخلت عليهم في نصف النهار وهم قائلون فسلمت عليهم فقالوا : مرحبًا بك يا ابن عباس فما جاء بك ؟ قلت لهم : أتيتكم من عند أصحاب النبي ﷺ وصهره وعليهم نزل القرآن وهم أعلم بتأويله منكم وليس فيكم منهم أحد لأبلغكم ما يقولون وتخبرون بما تقولون .

قلت : أخبروني ماذا نقمتم على أصحاب رسول الله ﷺ وابن عمه ؟

قالوا : ثلاث . قلت : ما هن ؟

قالوا : أما إحداهن فإنه حكم الرجال في أمر الله وقال الله تعالى : ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ﴾ [يوسف: ٤٠] . ما شأن الرجال والحكم ؟

فقلت : هذه واحدة .

قالوا : وأما الثانية فإنه قاتل ولم يسب ولم يغنم فإن كانوا كفارًا سلبهم، وإن كانوا مؤمنين ما أحل قتالهم ؟

قلت : هذه اثنان فما الثالثة ؟

قالوا : إنه محا نفسه عن أمير المؤمنين فهو أمير الكافرين .

قلت : هل عندكم شيء غير هذا ؟ قالوا : حسبنا هذا .

قلت : أرأيتم إن قرأت عليكم من كتاب الله ومن سنة نبيه ﷺ ما يرد قولكم أترضون ؟ قالوا : نعم .

---

(١) النسائي في « الخصائص » حديث (١٨٥) .

قلت : أما قولكم حكم الرجال في أمر الله فأنا أقرأ عليكم في كتاب الله أن قد صير الله حكمه إلى الرجال في ثمن ربع درهم فأمر الله الرجال أن يحكموا فيه قال الله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ وَمَن قَتَلَهُ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ** ﴾ [المائدة: ٩٥] الآية فأنشدتكم بالله تعالى أحكم الرجال في أرنب ونحوها من الصيد أفضل أم حكمهم في دمائهم وصلاح ذات بينهم، وأنتم تعلمون أن الله تعالى لو شاء لحكم ولم يصير ذلك إلى الرجال ؟ قالوا : بل هذا أفضل.

وفي المرأة وزوجها قال الله عز وجل : ﴿ **وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا** ﴾ [النساء: ٣٥] فأنشدتكم بالله حكم الرجال في صلاح ذات بينهم وحقن دمائهم أفضل من حكمهم في امرأة ؟. أخرجت من هذه ؟ قالوا : نعم .

قلت : وأما قولكم قاتل ولم يسبِ ولم يغنم ؛ أفتسبون أمكم عائشة وتستحلون منها ما تستحلــون من غيرها وهي أمكم ؟ فإن قلتم إنا نستحل منها ما نستحل من غيرها فقــد كفرتم ، ولئن قلتم ليســت بأمنا فقــد كفرتم لأن الله تعالى يقول : ﴿ **النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ** ﴾ [الأحزاب:٦] أنتم تدورون بين ضلالتين فأتوا منهما بمخرج .

قلت : فخرجت من هذه . قالوا : نعم .

وأما قولكم محا اسمه من أمير المؤمنين فأنا آتيكم بمن ترضون وأراكم قد سمعتم أن النبي ﷺ يوم الحديبية صالح المشركين فقال لعلي رضي الله عنه : اكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله ﷺ فقال المشركون : لا والله ما نعلم أنك رسول الله لو نعلم أنك رسول الله لأطعناك فاكتب محمد

ابن عبد الله فقال رسول الله ﷺ : امح يا علي رسول الله ، اللهم إنك تعلم أني رسولك ، امح يا علي واكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله فوالله لرسول الله ﷺ خير من علي وقد محا نفسه ولم يكن محوه ذلك يمحوه من النبوة . خرجت من هذه ؟ قالوا : نعم فرجع منهم ألفان وخرج سائرهم فقتلوا على ضلالتهم فقتلهم المهاجرون والأنصار .

● وقد ورد نحو هذا عن علي رضي الله عنه عند أحمد في «المسند»[(١)] بإسناد حسن أيضًا من طريق عبيد الله بن عياض بن عمرو القاري قال جاء عبد الله بن شداد فدخل على عائشة رضي الله عنها ونحن عندها جلوس مرجعه من العراق ليالي قتل علي رضي الله عنه فقالت له : يا عبد الله بن شداد هل أنت صادقي عما أسألك عنه تحدثني عن هؤلاء القوم الذين قتلهم علي رضي الله عنه ، قال : وما لي لا أصدقك قالت : فحدثني عن قصتهم قال : فإن عليًّا رضي الله عنه لما كاتب معاوية وحكم الحكمان خرج عليه ثمانية آلاف من قراء الناس فنزلوا بأرض يقال لها حروراء من جانب الكوفة ، وأنهم عتبوا عليه فقالوا : انسلخت من قميص ألبسكه الله تعالى واسم سماك الله تعالى به ثم انطلقت فحكمت في دين الله فلا حكم إلا لله تعالى ، فلما أن بلغ عليًّا رضي الله عنه ما عتبوا عليه وفارقوه عليه فأمر مؤذنًا فأذن أن لا يدخل على أمير المؤمنين إلا رجل قد حمل القرآن ، فلما أن امتلأت الدار من قراء الناس دعا بمصحف إمام عظيم فوضعه بين يديه فجعل يصكه بيده ويقول : أيها المصحف حدث الناس ، فناداه الناس فقالوا : يا أمير المؤمنين ما تسأل عنه إنما هو مداد في ورق ونحن نتكلم بما روينا منه فماذا تريد ؟

---

(١) أحمد في « المسند » (١/ ٨٦ ـ ٨٧) .

قال : أصحابكم هؤلاء الذين خرجوا بيني وبينهم كتاب الله ، يقول الله تعالى في كتابه في امرأة ورجل : ﴿ **وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا** ﴾ [النساء: ٣٥] فأمة محمد ﷺ أعظم دمًا وحرمة من امرأة ورجل ، ونقموا عليّ أن كاتبت معاوية كتب علي بن أبي طالب ، وقد جاءنا سهيل بن عمرو ونحن مع رسول الله ﷺ بالحديبية حين صالح قومه قريشًا فكتب رسول الله ﷺ بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل : لا تكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال : كيف نكتب فقال : اكتب باسمك اللهم، فقال رسول الله ﷺ : فاكتب محمد رسول الله فقال : لو أعلم أنك رسول الله لم أخالفك ، فكتب هذا ما صالح محمد بن عبد الله قريشًا . يقول الله تعالى في كتابه : ﴿ **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ** ﴾ [الأحزاب: ٢١] فبعث إليهم عليٌّ عبدَ الله بن عباس رضي الله عنه فخرجت معه حتى إذا توسطنا عسكرهم قام ابن الكواء يخطب الناس فقال : يا حملة القرآن إن هذا عبد الله بن عباس رضي الله عنه فمن لم يكن يعرفه فأنا أعرفه من كتاب الله ما يعرف به هذا ممن نزل فيه وفي قومه : ﴿ **قَوْمٌ خَصِمُونَ** ﴾ [الزخرف: ٥٨] فردوه إلى صاحبه ولا تواضعوه كتاب الله فقام خطباؤهم فقالوا : والله لنواضعنه كتاب الله فإن جاء بحق نعرفه لنتبعنه وإن جاء بباطل لنبكتنه بباطله ، فواضعوا عبد الله الكتاب ثلاثة أيام فرجع منهم أربعة آلاف كلهم تائب فيهم ابن الكواء حتى أدخلهم على عليٍّ الكوفة ، فبعث علي رضي الله عنه إلى بقيتهم فقال : قد كان من أمرنا وأمر الناس ما قد رأيتم فقفوا حيث شئتم حتى تجتمع أمة محمد ﷺ . بيننا وبينكم أن لا تسفكوا دمًا حرامًا أو تقطعوا سبيلاً أو تظلموا ذمة ، فإنكم إن فعلتم فقد نبذنا إليكم الحرب على سواء إن الله لا يحب

الخائنين . فقالت له عائشة رضي الله عنها : يا ابن شداد فقد قتلهم . فقال: والله ما بعث إليهم حتى قطعوا السبيل وسفكوا الدم واستحلوا أهل الذمة فقالت : آلله قال : آلله الذي لا إله إلا هو لقد كان ، قالت : ما شيء بلغني عن أهل الذمة يتحدثونه يقولون : ذو الثدي وذو الثدي قال : قد رأيته وقمت مع علي رضي الله عنه عليه في القتلى فدعا الناس فقال : أتعرفون هذا ؟ فما أكثر من جاء يقول : قد رأيته في مسجد بني فلان يصلي ورأيته في مسجد بني فلان يصلي ، ولم يأتوا فيه بثبت يعرف إلا ذلك . قالت : فما قول علي رضي الله عنه حين قام عليه كما يزعم أهل العراق ؟ قال سمعته يقول : صدق الله ورسوله قالت : هل سمعت منه أنه قال غير ذلك قال : اللهم لا . قالت : أجل صدق الله ورسوله ، يرحم الله عليًّا رضي آلله عنه إنه كان من كلامه لا يرى شيئًا يعجبه إلا قال صدق الله ورسوله فيذهب أهل العراق يكذبون عليه ويزيدون عليه في الحديث .

* * *

أصل أصيل من أصول النجاح في المعاملات مع المؤمنين : سؤال الرب جل وعلا التوفيق وحسن الخلق

● **فالمهتدي من هداه اللَّه .**

قال أهل الإيمان : ﴿ **الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ** ﴾ [الأعراف: ٤٣].

وقال تعالى : ﴿ **مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا** ﴾ [الكهف: ١٧] .

وقال تعالى في الحديث القدسي : « .. **يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم** »[1] .

● **والموفَّق من وفقه اللَّه .**

قال نبي الله شعيب ﷺ : ﴿ **وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ** ﴾ [هود: ٨٨].

● **والصبور من صبَّره اللَّه .**

قال تعالى : ﴿ **وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللَّهِ** ﴾ [النحل: ١٢٧].

● **والمثبت من ثبته اللَّه .**

قال تعالى : ﴿ **يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي**

---

(١) مسلم (حديث ٢٥٧٧) من حديث أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ فيما روى عن ربه تبارك وتعالى .

الآخِرَةِ ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

وقال تعالى : **﴿ وَلَوْلا أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلاً ﴾** [الإسراء: ٧٤]

● وكل النعم من الله : **﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ﴾** [النحل: ٥٣].

فحسن الخلق من الله

قال النبي ﷺ : « **اهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت ، واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت** »[١] .

وورد أن النبي ﷺ كان يدعو بهؤلاء : « **اللهم جنبني منكرات الأخلاق والأعمال والأهواء والأدواء** »[٢] .

وفي رواية[٣] : « **اللهم إني أعوذ بك من منكرات الأخلاق والأعمال والأهواء** » .

وكان النبي ﷺ يدعـو فيقول : « **اللهم أحسنـت خَلْقي فأحسن خُلُقي** »[٤] .

---

(١) أخرجه مسلم (٦/ ٥٧) من حديث علي رضي الله عنه مرفوعًا .

(٢) أخرجه الطبراني في « الدعاء » (حديث ١٣٨٤) من حديث قطبة بن مالك رضي الله عنه مرفوعًا وهو **صحيح لشواهده** .

وأخرجه أيضًا الحاكم في « المستدرك » (١/ ٥٣٢) وقال : هذا حديث صحيح الإسناد على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي وانظر ابن حبان (٢٤٢٢) .

(٣) هي عند الترمذي (٣٥٩١) وقال الترمذي : هذا حديث حسن غريب قلت : وفي الرواية المشار إليها عند الترمذي ضعف لكن يشهد لها ما قبلها .

(٤) أحمد في « المسند » (٦/ ٦٨) **بإسناد صحيح** عن عائشة رضي الله عنها مرفوعًا.

• فسل الله يا عبد الله أن يوفقك في تعاملاتك مع المؤمنين للخير ، وأن يُحبب فيك العباد ، قال تعالى في شأن موسى عليه السلام : ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾[1] [طه: ٣٩] .

وسل الله أن يُحسن أخلاقك ، وأن يلهمك الصواب ، ويرزقك الرشد .

فكم من كلمةٍ تخرج منك يُصلح الله بها بين طوائف من المسلمين .

وكم من كلمة تصدر تتسبب في قطع أرحام وإفساد ذات البين .

فانتبه وسل الله التوفيق والهداية على الدوام .

• أمور تجلب المودة والمحبة مع شيء من فقهها وفوائدها :

* وها هي أمور تجلب المودة والمحبة بين العباد ، فحتى يسمع الناسُ منك وحتى يلينوا لك وحتى يقبلوا شفاعاتك ، وحتى يطمئنوا إلى بيوعك وشرائك وحكمك وقضائك ، وحتى يشكروا لك معروفك وإحسانك ينبغي أن يتوافر فيهم جانب وقدر من الحب لك والتوقير والإجلال وكما قال الرسول ﷺ : « **إن آل أبي .... ليسوا بأوليائي إنما وليي اللّه وصالح المؤمنين** » وفي زيادة : « **ولكن لهم رحمٌ أبلها ببلالها** »[2] أي : سأصلها

(١) قال بعض أهل العلم : كان كل من يرى موسى يحبه .

(٢) البخاري (حديث ٥٩٩٠) من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه مرفوعًا ، وفي « صحيح مسلم » من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : لما أنزلت هذه الآية : ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤] ، دعا رسول الله ﷺ قريشًا فاجتمعوا فعمَّ وخص فقال: « يا بني كعب بن لؤي . . فذكر الحديث وفيه : « فإني لا أملك لكم من الله شيئًا غير أن لكم رحمًا سأبلها ببلالها » (مسلم حديث ٢٠٤) .

بصلتها فالرحم كالجلد اليابسة إذا بُلّت أصبحت لينة فيسهل عليك تشكيلها فإذا وصلت أرحامك وأحسنت إليهم لانت لك قلوبهم وسهل أمرهم عليك واستمعوا لحديثك ، أما إذا كنت قاطعًا للرحم ولم تبلها أي لم تصلها فلا يكاد أحدٌ من أرحامك يستمع لك ولا يصغي لقولك .

وكذلك غير الأقارب إذا رأوا منك الود والمحبة لهم والحرص عليهم والشفقة والحنو أحبوك ، ومن ثمَّ نجحت في تعاملاتك معهم بإذن الله .

وها هي طائفة من الأمور التي تجلب المودة والمحبة ، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب ، فمن ذلك ما يلي :

الإيمان باللّه والعمل الصالح

وهذا يجلب لك محبة الله عز وجل ومن ثمَّ يوضع لك القبول في الأرض ، دلَّ على هذا قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا** ﴾ [مريم: ٩٦] ، أي : محبة في قلوب العباد ، على قول لكثير من المفسرين .

● ويشهد لذلك حديث أبي هريرة[١] رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « **إذا أحبَّ الله عبدًا نادى جبريل إن اللَّه يحبُّ فلانًا فأحبَّه فيُحبُّه جبريلُ ، فينادي جبريلُ في أهل السماء : إن اللَّه يحبُّ فلانًا فأحبوه فيحبُّه أهل السماء ثم يُوضع له القبول في الأرض** » .

وفي رواية مسلم[٢] : « **إن اللَّه إذا أحب عبدًا دعا جبريل فقال : إني**

---

(١) البخاري (حديث ٦٠٤٠) .

(٢) مسلم (حديث ٢٦٣٧) .

أحب فلانًا فأحبه قال : فيحبه جبريل ثم ينادي في السماء فيقول : إن اللَّه يحب فلانًا فأحبوه فيحبه أهل السماء ، قال : ثم يوضع له القبول في الأرض، وإذا أبغض عبدًا دعا جبريل فيقول : إني أبغض فلانًا فأبغضه ، قال : فيبغضه جبريل ثم ينادي في أهل السماء إن اللَّه يبغض فلانًا فأبغضوه ، قال : فيبغضونه ثم توضع له البغضاء في الأرض » .

فاجتهد في أن ترضي الله عنك ، واجتهد في العمل بطاعته واجتناب معاصيه فالله الذي يقذف الحب في قلوب العباد لك ، وهو الذي يكف أذى العباد عنك .

قال تعالى : ﴿ **وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ** ﴾ [الأنفال: ٦٣].

وقال تعالى: ﴿ **وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم** ﴾ [الفتح: ٢٤]

وقال تعالى : ﴿ **وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ** ﴾ [النساء: ٩٠].

فأصلح ما بينك وبين ربك يصلح الله ما بينك وبين العباد .

واحذر أن تتسلط عليك ذنوبك فتفشل في التعامل مع الناس بسبب ذنوبك ، وقد قال تعالى : ﴿ **وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ** ﴾ [الشورى: ٣٠].

إفشاء السلام

ومن الأمور التي تجلب المحبة وتنشر المودة بين الناس : إفشاء السلام أي: نشره وإظهاره والإكثار منه ، ومن ثم جاءت النصوص عن رسول الله

ﷺ تحث على ذلك وتبين أثره وفضله .

● قال البراء بن عازب رضي الله عنهما: أمرنا رسول الله ﷺ بسبعٍ بعيادة المريض، واتباع الجنائز، وتشميت العاطس، ونصر الضعيف، وعون المظلوم، وإفشاء السلام، وإبرار المقسم . أخرجه البخاري ومسلم[(١)] .

● وفي « صحيح مسلم »[(٢)] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم ؟ أفشوا السلام بينكم** » .

● وعند البخاري في « الأدب المفرد » من حديث أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « **إن السلام اسم من أسماء اللَّه تعالى وضعه اللَّه في الأرض فأفشوا السلام بينكم** »[(٣)] .

● وفي « الصحيحين »[(٤)] من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ : أي الإسلام خير ؟ قال : « **تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف** » .

● وبيَّن رسول الله ﷺ أن من حق المسلم على أخيه أن يسلم عليه ، ففي « صحيح مسلم »[(٥)] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **حق المسلم على المسلم ست** » قيل : ما هن يا رسول الله ؟

---

(١) البخاري في « مع الفتح » (١١/ ١٨) ومسلم مع النووي (١٤/ ٣٠) .

(٢) مسلم (حديث ٥٤) .

(٣) البخاري في « الأدب المفرد » (٩٨٩) **وإسناده صحيح** .

(٤) البخاري (حديث ٢٨) ومسلم (حديث ٣٩) .

(٥) مسلم (ص١٧٠٥) .

قال: « **إذا لقيته فسلِّم عليه ، وإذا دعاك فأجبه ، وإذا استنصحك فانصح له ، وإذا عطس فحمد اللَّه فشمته وإذا مرض فعده وإذا مات فاتبعه** » .

● وفي « الصحيحين »[١] من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « **إياكم والجلوس في الطرقات** » فقالوا : يا رسول الله ما لنا من مجالسنا بُدٌّ ، نتحدث فيها ، فقال : « **فإذا أبيتم إلا المجلس فأعطوا الطريق حقه** » قالوا : وما حق الطريق يا رسول الله ، قال : « **غض البصر وكف الأذى ، ورد السلام ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر** ».

● **وأولى الناس باللَّه من بدأهم بالسلام** كما قال النبي ﷺ[٢] .

● **وكان النبي ﷺ يُسلم على الصبيان**[٣] كما في « الصحيحين » من حديث أنس رضي الله عنه .

● وكان يسلم على النساء أيضًا[٤] ففي « سنن الترمذي » و« الأدب المفرد » للبخاري[٥] بإسناد حسن لشواهده من حديث أسماء بنت يزيد رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ مرَّ بي وأنا في جوارٍ أتراب فسلَّم علينا .

● وكذلك إذا كان المجلس فيه أخلاط من المسلمين والمشركين عبدة

---

(١) البخاري (مع الفتح ١١/ ٨) ومسلم (١٤/ ١٠٢ مع النووي).

(٢) أخرجه أبو داود (٥/ ٣٨٠) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن أولى الناس بالله من بدأهم بالسلام » **وإسناده صحيح** .

(٣) البخاري (مع الفتح ١١/ ٣٢) ومسلم (مع النووي١٥/ ١) .

(٤) ومحل ذلك إذا أمنت الفتنة فإن الله لا يحب الفساد.

(٥) الترمذي (٧/ ٤٧٥ مع التحفة) والبخاري (في الأدب المفرد ١٠٤٨) .

الأوثان واليهود فإن النبي ﷺ سلَّم على مجلس فيه مثل هذه الأخلاط[(١)] .

وقد كان أصحاب رسول الله ﷺ يتماشون فإذا استقبلتهم شجرةٌ أو أكمةٌ فتفرقوا يمينًا وشمالاً ثم التقوا سلَّم بعضهم على بعض[(٢)] .

ومما يجلب المودة والمحبة أيضًا : أن ترسل سلامك إلى الناس

وما أظن هذا يكلفك شيئًا ، وقد جاءت بذلك السُّنة .

● أخرج البخاري ومسلم[(٣)] من حديث عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « **يا عائش هذا جبريل يقرئك السلام** » .

قلت (القائل عائشة) : وعليه السلام ورحمة الله .

● وفي « مسند الإمام أحمد »[(٤)] بإسناد صحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : « **إني لأرجو إن طال بي عُمر أن ألقى عيسى ابن مريم عليه السلام فمن لقيه منكم فليقرئه مني السلام** » .

● ولهذا الفضل العظيم والثواب الجزيل للسلام فإن أعظم ما يحسدنا عليه اليهود هو السلام والتأمين .

---

(١) انظر البخاري (مع الفتح ٨/ ٢٣٠) ومسلم (مع النووي ١٢/ ١٥٧) .

(٢) ابن السُّني في « عمل اليوم والليلة » (حديث ٢٤٥) وله شاهد عند أبي داود (٥/ ٣٨١) ولفظه : « إذا لقي أحدكم أخاه فليسلم عليه فإن حالت بينهما شجرة أو جدار أو حجر ثم لقيه فليسلم عليه أيضًا » وقد روي هذا موقوفًا على أبي هريرة رضي الله عنه ومرفوعًا إلى رسول الله ﷺ .

(٣) البخاري (مع الفتح ١٠/ ٥٨١) ومسلم (مع النووي ١٥/ ٢١١) .

(٤) أحمد (٢/ ٢٩٨) .

روت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ أنه قال : « **ما حسدتكم اليهود على شيء ما حسدتكم على السلام والتأمين** »[(١)] .

● فالسلام كما تقدم اسم من أسماء الله ، وإفشاؤه فيه ذكرٌ لله ، وكثرة إفشائه تعني كثرة ذكر الله ، وقد قال الله تعالى : ﴿ **وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً** ﴾ [الأحزاب: ٣٥].

● وكم دُفع من شرٍّ بسبب كلمة السلام عليكم !

● وكم حلَّ من خيرات وبركاتٍ بسبب كلمة السلام عليكم !

● وكم وصلت من أرحام بكلمة السلام عليكم !

● وفي المقابل كم حل من نكدٍ وبلاءٍ ، وبؤسٍ وشقاءٍ وقطيعة رحم وإدبارٍ وتنافرٍ بسبب ترك كلمة « السلام عليكم » .

فعليك بها ، أَكْثِر منها ، سلِّم على الصغير والكبير ، والغني والفقير والرجل والمرأة[(٢)] ومن عرفت ومن لم تعرف ، بل وسلم على الأموات كذلك[(٣)] ، وتأكد أن في ذلك خيراً إن شاء الله .

وهذه صيغ من صيغ السلام :

أخرج أبو داود[(٤)] في « سننه » من حديث عمران بن حصين رضي الله

---

(١) ابن ماجة (حديث ٨٥٦) وابن خزيمة (حديث ٥٧٤) والبخاري في «الأدب المفرد» (٩٩٨) **بإسناد حسن** .

(٢) إلا إذا خشيت الفتنة من إلقاء السلام على فتاة .

(٣) من ذلك (السلام عليكم دار قومٍ مؤمنين . .).

(٤) أبو داود (حديث ٣٧٩) **بإسناد صحيح** .

عنه قال : جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : « **السلام عليكم** » فردَّ عليه السلام ثم جلس فقال النبي ﷺ : « **عشر** » ثم جاء آخر فقال : « **السلام عليكم ورحمة اللَّه** » فرد عليه فجلس فقال : « **عشرون** » ثم جاء آخر فقال : «**السلام عليكم ورحمة اللَّه وبركاته**» فرد عليه فجلس فقال : « **ثلاثون** »[(١)] .

● وفي « الصحيحين »[(٢)] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « **خلق اللَّه آدم وطوله ستون ذراعًا ثم قال : اذهب فسلِّم على أولئك من الملائكة فاستمع ما يحيُّونك ، تحيتك وتحية ذريتك فقال : السلام عليكم فقالوا : السلام عليك ورحمة اللَّه ، فزادوه ورحمة اللَّه** » .

● وفي « صحيح مسلم »[(٣)] من حديث أبي ذر رضي الله عنه في قصة إسلامه قال فأتيته (أي: رسول الله ﷺ) فإني لأول الناس حيَّاه بتحية الإسلام، قال : قلت : **السلام عليك يا رسول اللَّه** قال : «**وعليك السلام من أنت ؟**».

● وفي « سنن أبي داود »[(٤)] عن عمر أنه أتى النبي ﷺ وهو في مشربة له فقال : **السلام عليكم يا رسول اللَّه السلام عليكم** أيدخل عمر ؟

● **وقد شرعت للسلام آداب ، منها :**

* قول الله تبارك وتعالى : ﴿ **وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ**

---

(١) فماذا يضيرك يا عبد الله أن تقول في سلامك « السلام عليكم ورحمة الله وبركاته » حتى تغنم ثلاثين حسنة !! ما إخاله ولا أظنه يشق عليك هذا الأمر ، ولكن الموفق من وفقه الله ، والمهتدي من هداه الله !!

(٢) البخاري (حديث ٣٣٢٦) ومسلم (٢٨٤١) .

(٣) مسلم (مع النووي ١٦/ ٣١) .

(٤) أبو داود (٥/ ٣٨٢) **بإسناد صحيح** .

رُدُّوهَا﴾ [النساء: ٨٦] .

* وقول النبي ﷺ : « **يُسلم الصغير على الكبير ، والمار على القاعد، والقليل على الكثير**»(١) ، وفي رواية أخرى: «**يسلم الراكب على الماشي**»(٢) .

● **وقد تكون هناك موانع شرعية تمنع من إلقاء السلام ، بل ومن ردِّه،** كأن يكون عدم الرد كي ينزجر العاصي عن معصيته ويقلع المذنبُ عن ذنبه ، وفي حديث كعب بن مالك الآتي قريبًا . . وآتي رسول اللَّه ﷺ فأسلِّم عليه فأقول في نفسي هل حرك شفتيه برد السلام أم لا ؟!

* وأخرج أبو داود(٣) من حديث عمار بن ياسر رضي الله عنهما قال : قدمت على أهلي وقد تشققت يداي فخلَّقوني بزعفران فغدوت على النبي ﷺ فسلمت عليه فلم يرد عليَّ وقال : « **اذهب فاغسل هذا عنك** » .

---

(١) البخاري (مع الفتح ١١/ ١٤) .

(٢) البخاري (١١/ ١٥ مع الفتح) ومسلم (مع النووي ١٤/ ١٤٠) .

(٣) أبو داود (٥/ ٨) **بإسناد حسن لغيره** ، فله شاهد عند البخاري في « الأدب المفرد » (١٠٢٠) .

وانظر إلى هذا الفقه ، فرسول الله ﷺ لم يرد على عمار السلام ، وأيضًا كما سبق وسيأتي لم يرد على كعب بن مالك السلام ، والآن القول لرجل قال فيه النبي ﷺ : « بئس أخو العشير » !

مع أن البون بعيدٌ وشاسع بين عمار وكعب بن مالك وبين هذا الرجل الذي قال له الرسول ﷺ : « بئس أخو العشير » .

فإذا كنت ترى أن في صاحبك إيمانًا وأنه يتحمل هجرانك ويفهمه على وجه الصحيح ، ويفهم أنك لا تريد له إلا الخير فحينئذ قد يجوز لك في بعض الأحيان أن تشتد عليه من أجل مصلحته ونفعه ، وانظر إلى أثر ابن عمر في قصة فاطمة ، وكذلك أثر عائشة اللذين أوردناهما أعلاه . =

وفي « صحيح البخاري »[١] من حديث عائشة رضي الله عنها أنها اشترت نمرقة فيها تصاوير فقام النبي ﷺ بالباب فلم يدخل فقلت : أتوب إلى الله ماذا أذنبت ؟ قال : « **ما هذه النمرقة** » ؟ قلت : لتجلس عليها وتوسدها ، قال : « **إن أصحاب هذه الصور يعذبون يوم القيامة يُقال لهم أحيوا ما خلقتم ، وإن الملائكة لا تدخل بيتًا فيه الصورة** » .

وأخرج البخاري وأبو داود[٢] بإسناد صحيح من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ أتى فاطمة رضي الله عنها فوجد على بابها سترًا[٣] فلم يدخل ، قال : وقلما كان يدخل إلا بدأ بها فجاء عليٌّ رضي الله عنه فرآها مهتمة فقال : مالك ؟ قالت : جاء النبي ﷺ إليَّ فلم يدخل فأتاه عليٌّ رضي الله عنه فقال : يا رسول الله إن فاطمة اشتد عليها أنك جئتها فلم تدخل عليها قال : « **وما أنا والدنيا وما أنا والرقم** » فذهب إلى فاطمة فأخبرها بقول رسول الله ﷺ فقالت : قل لرسول الله ﷺ ما يأمرني به ، قال : « **قل لها فلترسل به إلى بني فلان** » .

● وقد يكون المانع شرعيًا من وجه آخر :

ففي « صحيح مسلم »[٤] من حديث ابن عمر رضي الله عنهما **أن رجلاً**

= وإذا كنت ترى أن الرجل شريرٌ مفسد وسيفسد في الأرض إذا هجرته أو تركت إلقاء السلام عليه فحينئذٍ لك أن تداريه وتتقيه وتتقي شره .

وعلى الله قصد السبيل .

(١) البخاري (حديث ٥٩٥٧) ومسلم (ص١٦٦٩) .

(٢) أبو داود (حديث ٤١٤٩) واللفظ له ، وأخرجه البخاري أيضًا (٢٦١٣) .

(٣) في رواية البخاري سترًا موشيًا .

(٤) مسلم مع النووي (٤/ ٦٤) .

مرَّ ورسول اللَّه ﷺ يبول فسلَّم فلم يرد عليه .

وفي « صحيح البخاري »[١] من حديث أبي الجهيم الأنصاري رضي الله عنه قال : أقبل النبي ﷺ من نحو بئر جملٍ فلقيه رجلٌ فسلَّم عليه فلم يرد عليه النبي ﷺ حتى أقبل على الجدار فمسح بوجهه ويديه ثم ردَّ عليه السلام .

• وقد يكون في إلقاء السلام على رجل شرير دفعٌ لشرِّه :

وقد قال النبي ﷺ في شأن رجلٍ « **بئس أخو العشير** »[٢] فلما قدم ألان له النبي ﷺ القول .

وبالجملة ففي باب إفشاء السلام أو تركه ينبغي أن تراعي المصالح الشرعية العامة ، فإفشاء السلام ، والإكثار منه ، والسلام على الصغير والكبير والرجل والمرأة والقريب والبعيد ومن عرفت ومن لم تعرف هو الأصل بين المسلمين .

---

(١) البخاري (مع الفتح ١/ ٤٤١) ومسلم (معلقًا ٤/ ٦٤ مع النووي) وفي « سنن أبي داود » من طريق سعيد عن قتادة عن الحسن عن حضين بن المنذر أبي ساسان عن المهاجر بن قنفذ أنه أتى النبي ﷺ وهو يبول فسلَّم عليه فلم يرد عليه حتى توضأ ثم اعتذر إليه فقال : إني كرهت أن أذكر الله تعالى ذكره إلا على طهر ، أو قال : « على طهارة » ورجاله ثقات ، وكل ما يشوبه عنعنات بعض المدلسين ولكن لا أراها تضر في هذا الموطن لأن الحسن إنما يروي عن تابعي فلا إخاله يُسقط أحدًا في مثل هذا الموطن ، الله أعلم .

(٢) في « الصحيحين » وسيأتي سياقه وتخريجه إن شاء الله ، وسيأتي لهذا الباب مزيدٌ إن شاء الله .

أما إذا وُجدت مصلحة شرعية من وراء ترك السلام فحينئذٍ نقف مع المصلحة الشرعية ويُترك إلقاء السلام ، بل ويترك الرد ، وينبغي أن يكون هذا بقَدَرٍ ، أعني ترك إلقاء السلام أو ترك الرد وحسب الحاجة ولا يُتسع فيه، والله أعلم .

● **وقد كانت المصافحة أيضًا في أصحاب النبي ﷺ** وذلك فيما أخرجه البخاري[1] من طريق قتادة قال : قلت لأنس : أكانت المصافحة في أصحاب النبي ﷺ ؟ قال : نعم .

---

(١) البخاري (مع الفتح ١١/ ٥٤) ، لكن مصافحة الرجال للنساء كما هو معلوم ، محرمة لحديث : « لئن يطعن في رأس رجل بمخيط من حديد خير له من أن يمس امرأة لا تحل له » .

وإسناده حسن ، وأخرجه الطبراني في « المعجم الكبير » (٢٠/ ٢١١ ـ ٢١٢) من حديث معقل بن يسار، رضي الله عنه مرفوعًا .

وانظر أيضًا « السلسلة الصحيحة » للشيخ ناصر الدين الألباني حفظه الله (حديث ٢٢٦).

● وفي «الصحيحين» من حديث عائشة رضي الله عنهما أنها قالت ، فذكرت بيعة رسول الله ﷺ للنساء وامتحانه لهن ، وفيها : ولا والله ما مست يد رسول الله ﷺ يد امرأة قط غير أنه يبايعهن بالكلام ، قالت عائشة ، والله ما أخذ رسول الله ﷺ على النساء قط إلا بما أمره الله تعالى ، وما مست كف رسول الله ﷺ كف امرأة قط ، وكان يقول لهن إذا أخذ عليهن : « قد بايعتكن كلامًا » . لفظ مسلم (مع النووي ١٣/ ١٠).

والحديث أيضًا بلفظ قريب عند البخاري (مع الفتح ٨/ ٦٣٦) .

● وفي « مسند الإمام أحمد » (٦/ ٣٥٧) بإسناد صحيح عن أميمة بنت رقيقة قالت : أتيت النبي ﷺ في نساء نبايعه فأخذ علينا ما في القرآن أن لا نشرك بالله شيئًا الآية قال: «فيما استطعتن وأطقتن ، قلنا : الله ورسوله أرحم بنا من أنفسنا ، قلنا : يا رسول الله ألا تصافحنا قال : « إني لا أصافح النساء ، إنما قولي لامرأةٍ واحدة كقولي لمائة امرأة ». وأخرجه الترمذي (١٥٩٧) وقال : هذا حديث **حسن صحيح** .

وقال ابن مسعود رضي الله عنه : علمني رسول الله ﷺ التشهد وكفي بين كفيه »[١] .

● وصحح[٢] بعض أهل العلم حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « **ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلا غُفر لهما قبل أن يتفرقا** » .

● وفي البخاري[٣] من حديث عبد الله بن هشام قال : كنا مع النبي ﷺ وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب .

● وقال كعب بن مالك[٤] في قصته وتوبة الله عليه ، قال : دخلت المسجد فإذا برسول الله ﷺ فقام إليَّ طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحني وهنأني . .

النهي عن الهجران فوق ثلاث

ونهى النبي ﷺ عن الهجران فوق ثلاث ، ففي « الصحيحين »[٥] من حديث أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « **لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث يلتقيان فيصدُّ هذا ويصدُّ هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام** » .

---

(١) البخاري (حديث ٦٢٦٥) ومسلم (ص٣٠٢ ترتيب محمد فؤاد).

(٢) منهم الشيخ ناصر الدين الألباني حفظه الله (كما في « السلسلة الصحيحة » (٥٢٥) وانظر تخريج الحديث هناك) .

(٣) البخاري (حديث ٦٢٦٤) .

(٤) صحيح وسيأتي تخريجه إن شاء الله .

(٥) البخاري (مع الفتح ١١/ ٢١) ومسلم (مع النووي ١٦/ ١١٧) .

وفي رواية : « **فيعـرض هذا ويعـرض هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام** »[١] .

● وفي « الصحيحين »[٢] من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانًا ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال** » .

● وأخرج أبو داود[٣] بإسناد حسن من حديث عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : « **لا يكون لمسلم أن يهجر مسلمًا فوق ثلاثة ، فإذا لقيه سلَّم عليه ثلاث مرار كل ذلك لا يرد عليه فقد باء بإثمه** » .

● وأخرج الإمام أحمد[٤] بإسناد صحيح عن هشام بن عامر قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **لا يحل لمسلم أن يهجر مسلمًا فوق ثلاث ليال ، فإن كان تصادرا فوق ثلاث فإنهما ناكبان عن الحق ماداما على صرامهما وأولهما فيئًا فسبقه بالفيء كفارته فإن سلَّم عليه فلم يرد عليه ورد عليه سلامه ردت عليه الملائكة ورد على الآخر الشيطان ، فإن ماتا على صرامهما لم يجتمعا في الجنة أبدًا** » .

وفي رواية أخرى عند أحمد عقب هذه الرواية من طريق هشام أيضًا عن رسول الله ﷺ: «**لا يحل لمسلم أن يهجر مسلمًا فوق ثلاث ليالٍ فإنهما**

---

(١) البخاري (٦٠٧٧) .

(٢) البخاري (٦٠٧٦) .

(٣) « عون المعبود » (١٣/ ٢٥٧) .

(٤) أحمد في « المسند » (٤/ ٢٠) .

ناكبان عن الحق ماداما على صرامهما، وأولهما فيئًا يكون سبقه بالفيء كفارةً له ، وإن سلَّم فلم يقبل ورد عليه سلامه ردت عليه الملائكة ورد على الآخر الشيطان وإن ماتا على صرامهما لم يدخلا الجنة جميعًا أبدًا ».

● **لكن إن كانت هناك حاجة شرعية تدعو إلى الهجران فوق ثلاث فلا بأس بالهجران فوق الثلاث ما دامت الحاجة شرعية والمقصد منها مقصداً شرعيًّا صحيحًا ليس فيه انتصار للنفس ولا إشباع للشهوة ولا الحقد على مسلمٍ من المسلمين .**

فمثلاً إذا كان هناك رجل متلبسًا بالمعصية ولا يقلع عنها ، ورأيت أن في هجرانه فوق الثلاث مصلحة شرعية كي يرجع عن غيِّه وفساده ويُقلع عن معاصيه فلا بأس بالهجران في هذه الحالة ، وقد هجر النبي ﷺ كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية خمسين ليلة .

أخرج البخاري ومسلم[1] من حديث عبد الله بن كعب قال : سمعت كعب بن مالك يُحدِّث حين تخلَّف عن تبوك : ونهى رسول الله ﷺ عن كلامنا . . وآتي رسول الله ﷺ فأسلِّم عليه فأقول في نفسي هل حرَّك شفتيه بردِّ السلام أم لا ؟ حتى كملت خمسون ليلة وآذن النبي ﷺ بتوبة الله علينا حين صلى الفجر .

● وعلى المرء أن ينتبه لهذا انتباهًا شديداً فإن حظوظ النفس والشهوات تتدخل في هذا الباب تدخلاً شديدًا ، فقد يكون الشخص حاقدًا على شخص لأمورٍ دنيوية محضة ويزين له الشيطان سوء عمله ويزين له أن هذا الهجران

---

(١) البخاري (مع الفتح ١١/ ٤٠) ومسلم (مع النووي ١٧/ ٨٧) .

إنما هو في الله ولله فيقع حينئذ في المحذور الذي نهى عنه رسول الله ﷺ ألا وهو الهجران فوق ثلاث .

الهديــــــــة

● للهدية عظيم الأثر في استجلاب المحبة وإثبات المودة وإذهاب الضغائن وتأليف القلوب .

● وهي دليل على الحب وصفاء القلوب ، وفيها إشعار بالتقدير والاحترام ، ولذلك فقد قبل النبي ﷺ الهدية ، قبلها من المسلم والكافر ، وقبلها من المرأة كما قبلها من الرجل ، وحث النبي ﷺ على التهادي وعلى قبول الهدايا .

● فكم من ضغينةٍ ذهبت بسبب هدية !!

● وكم من مشكلةٍ دُفِعت بسبب هدية !!

● وكم من صداقةٍ ومحبة جُلبت بسبب هدية !!

● وها هي جملة نصوص عن رسول الله ﷺ في هذا الباب ، باب قبول الهدية ومجازاة من أهدى إليك ، والحث على الإهداء والهدية من الكافر ومن المسلم وللكافر والمسلم ، والموانع التي قد تتدخل لمنع الهدية ولمنع قبولها أوَ كراهيتها وكراهية قبولها . وبالله التوفيق .

● أخرج البخاري[1] رحمه الله تعالى من حديث عائشة رضي الله عنها

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٢٥٨٥) ، وقد أعله بعض العلماء بالإرسال وهو الصواب لكن انظر إلى الشواهد التي ذكرناها في هذا الباب .

قالت : **كان رسول اللَّه ﷺ يقبل الهدية ويثيب عليها**[١] .

● وفي « الصحيحين »[٢] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ إذا أُتي بطعام سأل عنه : أهدية أم صدقة ؟ فإن قيل: صدقة قال لأصحابه : « **كُلُوا** » ولم يأكل وإن قيل : هدية ضرب بيده ﷺ فأكل معهم .

● وكان الأنصار يهدون لرسول الله ﷺ ففي « الصحيح »[٣] من حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت لعروة : ابن أختي إن كنا لننظر إلى الهلال ثمّ الهلال ثلاثة أهلة في شهرين ، وما أوقدت في أبيات رسول الله ﷺ نار فقلت : يا خالة ما كان يُعيشكم ؟ قالت : الأسودان التمر والماء ، إلا أنه قد كان لرسول الله ﷺ جيرانٌ من الأنصار كانت لهم منائح[٤] وكانوا يمنحون رسول الله ﷺ من ألبانهم فيسقينا .

● وأخرج الإمام أحمد[٥] بإسناد حسن من حديث عبد الله بن بسر رضي الله عنه قال : **كان رسول اللَّه ﷺ يقبل الهدية ولا يقبل الصدقة** .

● وفي « سنن أبي داود »[٦] بإسناد حسن عن عائشة رضي الله عنها

---

(١) معني يثيب عليها أي : يجازي المُهدي بهدية أيضًا .

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٢٥٧٦) ومسلم (حديث ١٠٧٧) .

(٣) البخاري (٢٥٦٧) .

(٤) المراد بها هنا النوق أو الشياه .

(٥) أحمد في « المسند » (٤/ ١٨٩) ، وله شاهد يصح به في قصة إسلام سلمان عند أحمد (٥/ ٤٤١) .

(٦) أبو داود (٤٢٣٥) وابن ماجة (حديث ٣٦٤٤) .

قالت : قدِمتْ على النبي ﷺ حلية من عند النجاشي أهداها له فيها خاتم من ذهب فيه فصٌّ حبشيٌّ ، قالت : فأخذه رسول الله ﷺ بعودٍ مُعْرِضًا عنه أو ببعض أصابعه ثم دعا أمامة بنت أبي العاص بنت ابنته زينب فقال : «**تحلي بهذا يا بنية** » .

الحث على الهدية ولو بالقليل

● وحثَّ النبي ﷺ على الإهداء ولو بالقليل فقال عليه الصلاة والسلام[(١)] : « **يا نساء المسلمات لا تَحْقِرَنَّ جارةٌ لجارتها[(٢)] ولو فِرْسِنَ شاة**» . والفِرْسِن هو موضع الحافر ، والمراد أن النبي ﷺ حثَّ المرأة على الإهداء لجارتها والجود بما تيسر عندها ، وإن كان هذا المُهدَى قليلاً فهو خير من العدم ، وهو دليلٌ على المودة ، وفي الحديث أيضًا حثٌّ للمُهدى إليها على قبول الهدية وإن قلت الهدية فهي دليل على تقدير المهديةِ للمُهدى إليها .

● وروي أيضًا عن النبي ﷺ أنه قال : « **تهادوا تحابوا** »[(٣)] .

---

(١) أخرجه البخاري (٢٥٦٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

(٢) وقد تطلق الجارة على الضُّرة أحيانًا ، وهي هنا عامة فالمراد جارة المنزل والمراد الضُّرة أيضًا ، والله أعلم .

(٣) أخرجه البخاري في « الأدب المفرد » (حديث ٥٩٤) ، ومن المعلوم أن « الأدب المفرد » للبخاري غير « صحيح البخاري » ، والحديث **إسناده حسن لشواهده** .

الحث على قبول الهدية

● وأخرج البخاري في « الأدب المفرد »[(١)] بإسناد صحيح عن عبد الله (وهو ابن مسعود) عن النبي ﷺ قال : « **أجيبوا الداعي ولا تردوا الهدية[(٢)] ولا تضربوا المسلمين** » .

قبول النبي ﷺ قليل الهدية وكثيرها

● وكان عليه الصلاة والسلام يقبل القليل كما يقبل الكثير .

ففي « الصحيح »[(٣)] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « **لو دعيت إلى ذراعٍ أو كُرَاعٍ لأجبتُ ، ولو أُهدي إليَّ ذراعٌ أو كُراعٌ لقبلتُ** ».

والكراع من الدابة ما دون الكعب .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله[(٤)] : وخصَّ الذراع والكراع بالذكر ليجمع بين الحقير والخطير لأن الذراع كانت أحب إليه من غيرها ، والكراع لا قيمة له .

---

(١) البخاري في « الأدب المفرد » (حديث ١٥٧) وأحمد في « المسند » (١/ ٤٠٤) وأبو يعلى (٩/ ٢٨٤) وابن أبي شيبة في « المصنف » (٦/ ٥٥٥) .

(٢) ذكر فريقٌ من العلماء أن القاضي يحرم عليه قبول الهدية ، خاصة ممن يقضي بينهم أو ممن يُظن أنه سيقضي بينهم أو ممن يشفع عنده في الأقضية .

(٣) البخاري (حديث ٢٥٦٨) .

(٤) « فتح الباري » (٥/ ٢٣٦) .

إذا رددت الهدية فبين سبب ردها جبراً للخاطر[١]

● وكان إذا ردَّ هدية علَّل سبب الرد جبراً لخاطر المُهدي .

ففي « الصحيحين » من حديث الصعب بن جثامة رضي الله عنه أنه أهدى لرسول الله ﷺ حماراً وحشيًّا ، وهو بالأبواء أو بودَّان ، فردَّه عليه فلما رأى ما في وجهه قال : « **أما إنَّا لم نردُّه عليك إلا أنَّا حُرُمٌ** » .

● قال الحافظ ابن حجر رحمه الله : وفيه أنه لا يجوز قبول ما لا يحل من الهدية .

قبول الهدية من النساء[٣]

● وكان النبي ﷺ يقبل الهدية من النساء كذلك .

ففي « الصحيحين »[٤] من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : أهدت أم حُفيد خالة ابن عباس إلى النبي ﷺ أقطًا وسمنًا وأَضُبًّا فأكل النبي ﷺ من الأقط والسمن وترك الأَضُبَّ تقذراً .

قلت : وفيه من الفقه أن المُهدي إذا أهدى هدية ورُدَّ منها شيءٌ لعلة فلا يحزن ويلتمس العذر لمن ردَّ الهدية أو جزءاً منها ما دامت العلة واضحة .

---

(١) إذا كان الخاطر يُجبر بذلك ، أما إذا كان الخاطر يُكسر ببيان سبب الرد فلا تبين والله أعلم .

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٢٥٧٣) ومسلم (حديث ١١٩٣) .

(٣) ومحل ذلك إذا أمنت الفتنة كما سيأتي التنبيه عليه إن شاء الله .

(٤) أخرجه البخاري (٢٥٧٥) ومسلم (ص١٥٤٤) .

● وأخرج الإمام أحمد[١] بإسناد حسن من حديث عبد الله بن بسر رضي الله عنه قال : كانت أختي تبعثني إلى رسول الله ﷺ بالهدية فيقبلها .

لا ترجع في هبتك

وشيءٌ سيئٌ أن تهدي ثم تعود في هديتك وترجع في هبتك فأولى لك أن لا تهدي أصلاً أفضل من أن تهدي وترجع في هديتك فقد قال النبي ﷺ : **« العائد في هبته كالكلب يرجع في قيئه »**[٢] .

إياك أن تُهدي ثم تَمُنَّ

وكذلك لا تهدي ثم تمنٌّ على من أهديت له ، فإن الله سبحانه وتعالى يقول في كتابه الكريم : **﴿ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأَذَىٰ ﴾** [البقرة: ٢٦٣، ٢٦٤]

فلا تعطي الأعطيات وتهب الهبات وتقدم الصدقات ثم تتبع ذلك بالمن فالمن يبطل ثواب الصدقات وثواب الهدايا فضلاً عما يُدخر للمنان من العذاب .

● قال النبي ﷺ[٣] **« ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا**

---

(١) أحمد (المسند ٤/ ١٨٩) .

(٢) أخرجه البخاري (٢٥٨٩) ومسلم (١٦٢٢) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعًا .

(٣) أخرجه مسلم (حديث ١٠٦) من حديث أبي ذر رضي الله عنه مرفوعًا .

يزكيهم ولهم عذاب أليم » قال فقرأها رسول الله ﷺ ثلاث مرار ، قال أبو ذر : خابوا وخسروا ، مَن هُم يا رسول الله ؟ قال : « **المسبِلُ والمنان ، والمنفِّق سلعته بالحلف الكاذب** » .

وفي رواية أخرى عند مسلم أيضًا : «**المنان الذي لا يُعطي شيئًا إلا منَّه**».

الهدية من أحد الزوجين للآخر

● وللهدية من أحد الزوجين للآخر أثر طيب في توطيد أواصر المحبة وتنمية مشاعر الود ، ومن ثمَّ قال الله تبارك وتعالى : ﴿ **فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا** ﴾ [النساء: ٤] ، أي : إن طيبت المرأة نفسها وأعطت زوجها شيئًا من صداقها فلا حرج على الزوج في قبوله والأكل منه، فليأكله هنيئًا مريئًا .

وبالنظر إلى الآية الكريمة ، نرى ـ والله أعلم ـ أن الزوجة إذا أهدت إلى الزوج تهدي إليه شيئًا من الصداق ، ليس كل الصداق ، وذلك حتى تُبقي لنفسها شيئًا تتصرف فيه عند احتياجاتها الخاصة بها ، والله أعلم .

وكذلك للهدية من الزوج لزوجته عظيم الأثر في جلب مودتها ودفع الوساوس عنها وإثبات محبتها ، وهي دليل على التراحم وخاصة إذا صحبت بالكلمات الطيبة والعبارات المُريحة والابتسامات الصادقة .

● وإذا كان عندك هديةٌ واحدة فلمن تهديها ؟

تهديها للأقرب فالأقرب ، قرابة النسب وقرابة الجوار ؛ فها هي ميمونة

زوج النبي ﷺ كان لها وليدة (أي : أمة من الإماء) فأعتقتها فقال لها النبي ﷺ : « **أما إنك لو أعطيتيها أخوالك كان أعظم لأجرك** »[١] .

فمع أنها أعتقت الأمة فهي - بلا شك إن شاء الله - مأجورة لعتقها الرقبة ، ولكن هنا فاق أجر الهدية أجر العتق لقول النبي ﷺ : « **ولو وصلت بها بعض أخوالك كان أعظم لأجرك** » .

فالهدية في بعض الأحيان تفوق الصدقة في الأجر ، وذلك إذا وقعت موقعها في التأليف والوصل وابتغاء الأجر والثواب.

● وأخرج البخاري[٢] من حديث عائشة رضي الله عنها قالت : قلت : يا رسول الله ﷺ إن لي جارين فإلى أيهما أهدي ؟ قال : « **إلى أقربهما منك بابًا** » .

● فيستفاد من هذين الحديثين أن القريب يُقدَّم على الغريب وأن الأقارب إذا استووا في درجة القرابة قُدِّم الأقرب بابًا ، وهذا كله إذا كان هؤلاء محل احتياج ، والله أعلم .

قبول الهدية من المشركين والإهداء لهم[٣]

● وقبل نبينا ﷺ الهدية من المشركين .

ففي « الصحيح »[٤] من حديث أبي حميد الساعدي رضي الله عنه

(١) البخاري (حديث ٢٥٩٢) ومسلم (٩٩٩) .

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٢٥٩٥) .

(٣) ومحل ذلك إذا لم تكن رشوة عن الدين أو للإقرار على باطل .

(٤) البخاري (حديث ٣١٦١) ومسلم (حديث ١٣٩٢) .

قال: غزونا مع النبي ﷺ تبوك ، وأهدى ملك أيلة للنبي ﷺ بغلةً بيضاء وكساه بُردًا .

وفي « الصحيحين »[١] كذلك أن يهودية أتت النبي ﷺ بشاة مسمومة فأكل منها .

● وأهدى أُكيدر دومة الجندل إلى النبي ﷺ[٢] حُلة .

● وانظر ترجمة مارية رضي الله عنها (أم إبراهيم عليه السلام وسرِّية رسول الله ﷺ في الإصابة) فقد ذُكر هناك أن المقوقس أهداها لرسول الله ﷺ .

● وأيضًا فإن إبراهيم الخليل ﷺ لما دخلت زوجته سارة على الجبار الكافر ورد الله يده وكبته الله أهداها هذا الكافر هاجر رضي الله عنها[٣] .

● **وكذلك فالإهداء للمشركين جائز** ، قال تعالى : ﴿ **لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ۝ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ** ﴾ [الممتحنة: ٨، ٩].

---

(١) البخاري (حديث ٢٦١٧) ومسلم (٢١٩٠) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) البخاري معلقًا (٢٦١٦) ، ومسلم متصلاً (ص١٩١٧) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٣) البخاري (٢٦٣٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : هاجر إبراهيم بسارة فأعطوها آجر فرجعت فقالت : أشعرت أن الله كبت الكافر وأخدم وليدة ؟!
والحديث مطوّل في مواطن أُخر من الصحيح .

● وفي « الصحيحين » من حديث أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها، قالت : قدمت عليَّ أمي وهي مشركة في عهد رسول الله ﷺ فاستفتيت رسول الله ﷺ قلت : إن أمي قدمت وهي راغبة أفأصل أمي ؟ قال : « **نعم صلي أمك** »[١] .

● وأهدى عمر حلة لأخٍ له مشرك بمكة قبل أن يُسلم أخوه[٢] .

● لكن إذا كان هذا الكافر سيتقوى بهذه الهدية على المسلمين ويؤذيهم ويتمرد عليهم ويتجبر فحينئذ لا يهدي إليه ولا كرامة .

● وأخرج الترمذي وأبو داود والبخاري في « الأدب المفرد » بإسناد صحيح[٣] من طريق مجاهد أن عبد الله بن عمرو ذُبحت له شاة في أهله فلما جاء قال : أهديتم لجارنا اليهودي ؟ أهديتم لجارنا اليهودي ؟ سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورِّثه** ».

وهناك هدايا لا تُرد :

منها : الطيب ؛ ففي « صحيح البخاري » من حديث أنس رضي الله

---

(١) أخرجه البخاري (٢٦٢٠) ، (٥٩٧٨) وهناك قال ابن عيينة فأنزل الله تعالى فيها : ﴿**لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ** ...﴾ [الممتحنة ٨ ، ٩] وأخرجه مسلم (٣/ ٤١) .

(٢) انظر البخاري (٢٦١٩) .

(٣) الترمذي (حديث ١٩٤٣) وأبو داود (٥١٥٢) والبخاري في « الأدب المفرد » (حديث ١٠٥) .

عنه أن النبي ﷺ كان لا يرد الطيب[١] .

● وصح عن رسول الله ﷺ أنه قال : « **من عُرض عليه ريحان فلا يرده فإنه خفيف المحمل طيب الريح** »[٢] .

موانع الإهداء ومتى لا تُقبل الهدية

فهذه النصوص التي قدمناها نصوصٌ تحث على الإهداء وقبول الهدية ، ولكن قد تأتي موانع تمنع من الإهداء وتمنع من قبول الهدية .

ألا ترى أن ملكة سبأ أهدت لسليمان عليه السلام هدية فردَّها سليمان ، مع أن إبراهيم عليه السلام قبل هاجر لما أُهديت إلى زوجته ، وقد قبل نبينا محمد ﷺ الهدية ، فلما قبل نبينا ﷺ الهدية وردَّها سليمان عليه السلام ؟!

ردَّها سليمان عليه السلام لما كانت رشوة عن الدين ، فالمرأة أرسلت الهدية إلى سليمان كي يقرها على عبادتها للشمس ويسكت عنها ، ولم يكن لسليمان ذلك ، وخاصة أنه في مركز قوة واستغناء **فمن ثمَّ ردَّها لما كانت رشوة عن الدين** .

قال الله تعالى : ﴿ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ

---

(١) البخاري (حديث ٢٥٨٢) .

(٢) أخرجه مسلم (حديث ٢٢٥٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

● وقد ورد في الباب حديث ابن عمر عند الترمذي (٢٧٩٠) مرفوعًا : « ثلاث لا ترد الوسائد واللبن والدهن » يعني به الطيب ، وقال الترمذي : (هذا حديث غريب) وقال أبو حاتم في « العلل » (٢/٣٠٨) : هذا حديث منكر .

قلت : وله شاهد آخر في إسناده ضعف شديد ، فلا يصح به ، والله أعلم .

﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [النمل: ٣٥ - ٣٧].

فإذا كانت الهدية بمثابة الرشوة لإبطال الحق وإثبات الباطل فلا تُقبل حينئذٍ .

● **وكذلك إذا كانت الهدية للأمراء والوزراء والمسئولين[١] كي يعطوك شيئًا ليس من حقك أو يتجاوزوا لك عن شيءٍ لا ينبغي لهم أن يتجاوزوا عنه** فحينئذ يحرم عليك الإهداء ويحرم عليهم قبول الهدية ، وقد استعمل النبي ﷺ لفظًا شديدًا في الزجر في هذا الباب ففي «الصحيحين»[٢] من حديث أبي حميد الساعدي رضي الله عنه قال : استعمل النبي ﷺ رجلاً من الأزد يقال له ابن اللتبية على الصدقة ، فلما قدم قال : هذا لكم وهذا أُهدي لي . قال : « **فهلا جلس في بيت أبيه ـ أو بيت أمه ـ فينظر أيهدى له أم لا ؟ والذي نفسي بيده لا يأخذ أحدٌ منكم شيئًا إلاَّ جاء به يوم القيامة يحمله على رقبته ، إن كان بعيرًا له رغاءٌ ، أو بقرةً لها خوارٌ ، أو شاةً تيعر ـ ثم رفع بيده حتى رأينا عفرة إبطيه ـ اللهم هل بلغت ، اللهم هل بلغت. ثلاثًا** » .

● ومن ثمَّ روى البخاري معلقًا[٣] عن عمر بن عبد العزيز: كانت الهدية

---

(١) كالقضاة والشُّرط ونحوهم .

(٢) البخاري (حديث ٢٥٩٧) ومسلم (١٨٣٢) .

(٣) معلقًا (مع الفتح ٥/ ٢٦٠) ، قال الحافظ ابن حجر في « الفتح » : وصله ابن سعد بقصةٍ فيه ، فروى من طريق فرات بن مسلم قال : اشتهى عمر بن عبد العزيز التفاح فلم =

في زمن رسول الله ﷺ هدية واليوم رشوة .

● وأخرج عبد الرزاق في « المصنف »[١] بإسناد صحيح لغيره عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : السحت الرشوة في الدِّين . قال سفيان : يعني الحكم .

● وأخرج أبو داود[٢] وغيره بإسناد صحيح من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال : « لعن رسول الله ﷺ الراشي والمرتشي » .

● **وكذلك إذا كانت الهدية شيئًا مسروقًا أو شيئًا محرمًا** فلا تقبل لما في ذلك من أكل الحرام والمعاونة على الإثم والعدوان .

وفي « مسند الإمام أحمد »[٣] أن المغيرة بن شعبة صحب قومًا من

= يجد في بيته شيئًا يشتري به فركبنا معه فتلقاه غلمان الدبر بأطباق تفاح فتناول واحدة فشمها ثم ردَّ الأطباق فقلت له في ذلك فقال : لا حاجة لي فيه ، فقلت : ألم يكن رسول الله ﷺ يقبل الهدية ؟ فقال : إنها لأولئك هدية ، وهي للعمال بعدهم رشوة .

(١) عبد الرزاق (المصنف ١٤٦٦٤) ، وانظر « السنن الكبرى » للبيهقي (١٠/ ١٣٩) .

(٢) أخرجه أبو داود (٣٥٨٠) والترمذي (مع التحفة ٤/ ٥٦٧) وابن ماجة (٢/ ٧٧٥) .

قال كثير من أهل العلم : إن الراشي هو معطي الرشوة والمرتشي هو آخذها والرائش هو الذي يسعى بينهما ، وقالوا : الرشوة ما يُعطى لإبطال حقٍّ أو لإحقاق باطل ، أما إذا أعطى ليتوصل به إلى حق أو ليدفع به عن نفسه ظلمًا فلا بأس به .

انظر ما ذكره المباركفوري في « تحفة الأحوذي » وكذلك شمس الحق العظيم أبادي في « عون المعبود » ، وكذلك الخطابي في « معالم السنن » وغيرهم .

(٣) « المسند » (٤/ ٢٤٦) من طريق أبي معاوية ثنا هشام بن عروة عن أبيه عن المغيرة ابن شعبة به .

وفي رواية أبي معاوية عن هشام مقال ، لكن للحديث شاهد في البخاري ففيه (٢٧٣١ ، ٢٧٣٢) . . وكان المغيرة صحب قومًا في الجاهلية فقتلهم وأخذ أموالهم ثم جاء فأسلم =

المشركين فوجد منهم غفلة فقتلهم وأخذ أموالهم فجاء بها إلى النبي ﷺ فأبى رسول الله ﷺ أن يقبلها .

• وكذلك إذا كانت الهدية إنما أهداها صاحبها لأخذ أكثر منها وإن لم يأخذ أكثر منها يتسخط ، فإذا عرف من عادته هذا فلك ـ والله أعلم ـ أن تتوقف في قبول هديته .

وقد قال الله تبارك وتعالى : ﴿**وَمَا آتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلا يَرْبُو عِندَ اللَّهِ**﴾ [الروم: ٣٩] ، وهذا في مثل هذا الموطن ، في رجل يهدي وينتظر من المهدى إليه أضعاف ما يقدمه له .

• أو إن كان المهدي يعتبر هديته بمثابة الدَّين عليك ، وأنت لا تريد أن تتحمل دينًا شرعًا ولا عرفًا ، فلك في مثل هذه الحالة أن تتوقف مع اعتذارٍ لطيف للمهدي ، اعتذارٍ لا يكسر له خاطر ولا يشوش عليه فكرًا .

• وكذلك إذا كان المهدي منانٌ يمنُّ بهديته ويتحدث بها فلك في مثل هذه الحال أن تتوقف .

وكل هذا يقدر بقدره والأصل استحباب الهدية واستحباب قبولها والإثابة عليها .

• وكذلك يكره لك أن تهدي هدية لشخص سفيه يستعملها في معصية الله عز وجل وفي الفساد في الأرض ، فإن الله تعالى يقول : ﴿**وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْفَسَادَ**﴾ [البقرة: ٢٠٥] ، ويقول سبحانه : ﴿**وَلا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ**

فقال النبي ﷺ : « أما الإسلام فأقبل وأما المال فلست منه في شيء » .

الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَّعْرُوفًا ﴾ [النساء: ٥]

• **وكذلك فأثناء هديتك انتبه هل ستُصْلِح في باب وتُفسد في باب آخر** أم أن الهدية كلها خير ، فقد تهدي لابنٍ من أبنائك دون الآخرين فتسبب مفسدة وضغينة بين الأولاد .

قال النعمان بن بشير رضي الله عنهما[1] : أعطاني أبي عطية ، فقالت عمرة بنت رواحة : لا أرضى حتى تشهد رسول الله ﷺ . فأتى رسول الله ﷺ فقال : إني أعطيت ابني من عمرة بنت رواحة عطية ، فأمرتني أن أشهدك يا رسول الله . قال : « **أعطيت سائر ولدك مثل هذا ؟** » قال : لا . قال: « **فاتقوا الله واعدلوا بين أولادكم** » . قال : فرجع فردَّ عطيته .

وأخرج عبد الرزاق[2] بإسناد صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : إذا أسلفت رجلاً سلفًا فلا تقبل منه هدية كُراع ولا عارية ركوب دابة .

وأخرج أيضًا[3] من طريق سالم بن أبي الجعد قال : جاء رجل إلى ابن عباس فقال : إنه كان لنا جار سمَّاك فأقرضته خمسين درهمًا ، وكان يبعث إليَّ من سمكه ، فقال ابن عباس : حاسبه ، فإن كان فضلاً فرُدّ عليه ، وإن كان كفافًا فقاصصه .

وأخرج أيضًا[4] بإسناد صحيح عن إبراهيم عن علقمة قال : إذا نزلت

---

(١) أخرجه البخاري (٢٥٨٧) ومسلم (حديث ١٦٢٣) .

(٢) عبد الرزاق (المصنف ١٤٦٥٠) .

(٣) عبد الرزاق (المصنف ١٤٦٥١) وهو صحيح أيضًا ، وأخرجه البيهقي (٥/ ٣٥٠).

(٤) عبد الرزاق في المصنف (١٤٦٤٩) .

على رجل لك عليه دين فأكلت عليه فأحسبه له ما أكلت عنده . إلا أن إبراهيم كان يقول : إلا أن يكون معروفًا كانا يتعاطيانه قبل ذلك .

وثمَّ جملة آثار أُخر في هذا الباب ، وفي أسانيد كثير منها مقال[١] .

قلت : لكن إذا أقرضت رجلاً مبلغًا من المال وردَّه إليك مع زيادة (بدون اشتراط منك) وكانت نفسه طيبة بذلك فلا مانع من قبوله ، وذلك لما في « الصحيحين »[٢] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : كان لرجلٍ على النبي ﷺ سنٌّ[٣] من الإبل فجاءه يتقاضاه فقال ﷺ : «**أعطوه**» فطلبوا سنَّه فلم يجدوا إلا سنًّا فوقها[٤] ، فقال : « **أعطوه** »، فقال : أوفيتني أوفى الله بك فقال النبي ﷺ : « **إن خياركم أحسنكم قضاءً** » .

● وفي « الصحيحين »[٥] أيضًا من حديث جابر رضي الله عنه قال : أتيت النبي ﷺ وهو في المسجد وكان لي عليه دين فقضاني وزادني .

● **وأيضًا ينبغي أن يتحفظ الشخص ويتورع عن الهدية إن كانت تقوم مقام الربا** فقد يقترض شخصٌ من شخص مالاً ويحل وقت السداد ولا يطيق المدين السداد ؛ فيسلك مسلك الإهداء لصاحب المال حتى يسكته وحتى يصبر عليه فحينئذٍ من الورع ترك هذه الهدايا ، نعم إنه يجوز قبولها ما

---

(١) انظرها في « مصنف » عبد الرزاق (٥/ ١٤٢) وفي « السنن الكبرى » للبيهقي (٥/ ٣٤٩) .

(٢) البخاري (حديث ٢٣٩٣) ومسلم (حديث ١٦٠١) .

(٣) يعني جمل له سنٌّ معين .

(٤) وفي رواية أخرى : لا نجد إلا سنًّا أفضل من سنِّه.

(٥) البخاري (حديث ٢٣٩٤) ومسلم (ص١٢٢٢ و ١٢٢٣) .

لم يشترط لكن الأورع ترك الهدية إذا كانت بهذه المثابة .

وفي هذا الباب أذكر ما أخرجه البخاري(١) رحمه الله من طريق أبي بردة قال : أتيت المدينة فلقيت عبد الله بن سلام رضي الله عنه فقال : ألا تجيء فأطعمك سويقًا وتمرًا وتدخل في بيت ؟ ثم قال : إنك في أرض الرِّبا بها فاشٍ ، إذا كان لك على رجلٍ حقٌّ فأهدى إليك حمل تبن أو حمل شعيرٍ أو حمل قَتٍّ فإنه ربا .

• **وكما أسلفنا فيجوز أن تهدي المرأة للرجل وأن يُهدي الرجل للمرأة** ومحل ذلك ـ كما هو معلوم ـ عند أمن الفتنة ، أما إذا كانت هدية المرأة للرجل أو الرجل للمرأة يتأتى من ورائها فتنة ، وتقع المرأة في قلب الرجل ويقع في قلبها ويحدث من وراء ذلك المحرم ، فحينئذ تمنع الهدية لا لكونها حرامًا، ولكن سدًّا للذريعة الموصلة إلى الحرام فالله لا يحب الفساد.

• **ولا ينبغي أن تحرج أحدًا وتحمله على الإهداء لك** ، فإنك إن فعلت أوشكت أن لا يبارك لك في هذا الشيء المهدى ولكن إن أُهدي إليك أو أخذت الشيء بغير مسألة ولا إشراف نفسٍ بورك لك فيه ، **ولتحرص على أن تكون نفس المهدي طيبة وهو يهدي إليك** ، وانظر إلى هذا الحديث الذي رواه البخاري في « صحيحه » ، وانظر فيه إلى حرص النبي ﷺ على تطييب نفس المعطي .

أخرج البخاري(٢) من حديث مروان بن الحكم والمسور بن مخرمة : أن النبي ﷺ قال حين جاءه وفد هوازن مسلمين . فسألوه أن يرد إليهم

(١) البخاري (حديث ٣٨١٤) .

(٢) البخاري (حديث ٢٦٠٧ ، ٢٦٠٨) .

أموالهم وسبيهم، فقال لهم: «**معي من ترون ، وأحب الحديث إلى أصدقه، فاختاروا إحدى الطائفتين: إما السبي وإمَّا المال، وقد كنت استأنيت** » ـ وكان النبي ﷺ انتظرهم بضع عشرة ليلةً حين قفل من الطائف ـ فلما تبين لهم أن النبي ﷺ غير رادٍّ إليهم إلا إحدى الطائفتين قالوا : فإنا نختار سبينا . فقام في المسلمين فأثنى على الله بما هو أهله ثم قال : « **أما بعد فإن إخوانكم هؤلاء جاءونا تائبين . وإني رأيت أن أرد إليهم سبيهم ، فمن أحب منكم أن يطيب ذلك فليفعل ، ومن أحب أن يكون على حظه حتى نعطيه إياه من أول ما يفيء اللَّه علينا فليفعل** » . فقال الناس . طيبنا يا رسول اللَّه لهم . فقال لهم : « **إنا لا ندري من أذن منكم فيه ممن لم يأذن ، فارجعوا حتى يرفع إلينا عرفاؤهم** » . ثم رجعوا إلى النبي ﷺ فأخبروه أنهم طيبوا وأذنوا .

● وقال النبي ﷺ[(١)] : « **إن هذا المال خضرةٌ حلوة[(٢)] فمن أخذه**

---

(١) الحديث أخرجه البخاري (حديث ١٤٧٢) ومسلم (حديث ١٠٣٥) من حديث حكيم ابن حزام رضي الله عنه ولفظه : سألت رسول الله ﷺ فأعطاني ، ثم سألته فأعطاني ، ثم سألته فأعطاني ثم قال : « يا حكيم ، إن هذا المال خضرةٌ حلوة ، فمن أخذه بسخاوة نفسٍ بورك له فيه ، ومن أخذه بإشراف نفسٍ لم يبارك له فيه ، كالذي يأكل ولا يشبع . اليد العليا خيرٌ من اليد السفلى » . قال حكيم : فقلت : يا رسول الله ، والذي بعثك بالحق لا أرزأ أحدًا بعدك شيئًا حتى أفارق الدنيا . فكان أبو بكرٍ رضي الله عنه يدعو حكيمًا إلى العطاء فيأبى أن يقبله منه . ثم إن عمر رضي الله عنه دعاه ليعطيه فأبى أن يقبل منه شيئًا . فقال عمر: إني أشهدكم يا معشر المسلمين على حكيم أني أعرض عليه حقه من هذا الفيء فيأبى أن يأخذه فلم يرزأ حكيم أحدًا من الناس بعد رسول الله ﷺ حتى توفي .

(٢) قال النووي رحمه الله : شبهه في الرغبة فيه ، والميل إليه ، وحرص النفوس عليه، بالفاكهة الخضراء الحلوة المستلذة فإن الأخضر مرغوب فيه على انفراده والحلو كذلك على انفراده فاجتماعهما أشد .

وفيه إشارة إلى عدم بقائه لأن الخضروات لا تبقى ولا تراد للبقاء .

بسخاوة نفس بورك له فيه ، ومن أخذه بإشراف نفسٍ لم يبارك له فيه كالذي يأكل ولا يشبع » .

● وفي « صحيح مسلم »[١] من حديث معاوية رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **إنما أنا خازن فمن أعطيته عن طيب نفسٍ فيبارك له فيه ومن أعطيته عن مسألةٍ وشرهٍ كان كالذي يأكل ولا يشبع** » .

● وفيه[٢] أيضًا من حديث معاوية كذلك : قال : قال رسول الله ﷺ : « **لا تلحفوا في المسألة فواللَّه لا يسألني أحدٌ منكم شيئًا فتُخْرِج له مسألته منِّي شيئًا وأنا له كاره فيبارك له فيما أعطيته** » .

● **وإذا أهدى رجلٌ هديةً لرجل من أجل مصلحة ما أو من أجل أن يُهدي إليه في موطن مشابه فلم يثب منها فله أن يرجع في هبته .**

● قال عمر[٣] رضي الله عنه : من وهب هبةً لذى رحم فهي جائزة ، ومن وهب هبة لغير ذي رحم فهو أحق بها ما لم يثب منها .

● وصح[٤] عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال : هو أحق بها ما لم يرض منها .

وفي رواية[٥] عنه أيضًا : من وهب هبة لوجه الثواب فلا بأس أن يرد .

---

(١) مسلم (حديث ١٠٣٧) .

(٢) مسلم (حديث ١٠٣٨) .

(٣) ابن أبي شيبة (المصنف ٦/ ٤٧٢) **بإسناد صحيح** .

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في « المصنف (٦/ ٤٧٤) .

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٦/ ٤٧٥) .

● وصح[١] عن سعيد بن المسيب أنه قال : من وهب هبة لغير ذي رحم فله أن يرجع ما لم يثبه[٢] .

الإحسان والعفو عن الناس

● وهذا من أعظم الأبواب لجلب المودة والمحبة بين العباد .

قال الله تبارك وتعالى : ﴿ **وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ** ﴾ [فصلت: ٣٤، ٣٥].

● فإذا قذفك شخص بمسبةٍ فاقذفه بالعفو عنه واقذفه بالكلام الطيب .

● إذا أساء شخص إليك فأحسن إليه ، فلن يزال معك من الله ظهير عليه مادمت على عفوك وإحسانك .

● إذا ظلمك شخص فتجاوز عنه .

فإن الله يدافع عنك ، الله سبحانه وتعالى يدافع عن المظلوم : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ** ﴾ [الحج: ٣٨].

إن الله سبحانه وتعالى قال في كتابه الكريم : ﴿ **ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ اللَّهُ** ﴾ [الحج: ٦٠] هذا في حق من عاقب بمثل ما عوقب به ، لينصرنه الله !! فكيف بالذي ترك حقه كله لله؟!

---

(١) ابن أبي شيبة في « المصنف » (٦/ ٤٧٥) .

(٢) ويظهر لي ـ والله أعلم ـ أنه يدخل في هذا ما يسميه العامة (النقوط) للعروسين أو أحدهما ، فالناس يهدونه وينتظرون رده لهم في مناسبات مشابهة ، والله أعلم .

فالزم جانب العفو فإن العفو من شيم المحسنين ، قال الله تعالى : ﴿ **وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ** ﴾
[آل عمران : ١٣٤]

● وقال سبحانه : ﴿ **وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾
[التغابن : ١٤]

● وقال النبي ﷺ فيما أخرجه مسلم[١] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : « **ما نقصت صدقةٌ من مالٍ وما زاد اللَّه عبداً بعفوٍ إلا عزاً وما تواضع أحد للَّه إلا رفعه اللَّه** » .

● وقال تعالى : ﴿ **وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ** ﴾ [الشورى : ٤٠].

● وقد صح[٢] عن رسول الله ، أنه قال : « **ارحموا ترحموا واغفروا يغفر لكم ..** ».

● وصح[٣] عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : « **ما تجرع عبد جرعة أفضل عند اللَّه عز وجل من جرعة غيظ يكظمها ابتغاء وجه اللَّه تعالى** ».

---

(١) مسلم (حديث ٢٥٨٨) .

(٢) أخرجه أحمد (٢/١٦٥ ، ٢١٩) وعبد بن حميد في « المنتخب » (بتحقيقي ٣٢٠) والبخاري في « الأدب المفرد » (حديث ٣٨٠) ، والحديث **صحيح لشواهده** .

(٣) أحمد في « المسند » (٢/١٢٨) من طريقين عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا وابن ماجة (٤١٨٩) **وهو صحيح بمجموع طريقيه** ، والله أعلم .

• **والعفو والإحسان من شيم رسول اللَّه ﷺ .**

• أخرج البخاري[١] من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما : أن هذه الآية التي في القرآن : ﴿**يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا**﴾ قال في التوراة : يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا وحرزًا للأميين ، أنت عبدي ورسولي ، سميتك المتوكل ، ليس بفظٍّ ولا غليظ ولا سخَّابٍ بالأسواق ، **ولا يدفع السيئة بالسيئة ، ولكن يعفو ويصفح** ، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا : لا إله إلا الله ، فيفتح بها أعينا عميًا ، وآذانًا صمًّا ، وقلوبًا غلفًا » .

• وفي « سنن الترمذي »[٢] من طريق أبي عبد الله الجدلي قال : سألت عائشة عن خُلق رسول الله ﷺ فقالت : لم يكن فاحشًا ولا متفحشًا ولا صخابًا في الأسواق **ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح** .

العدل والفضل

وقد أمر اللَّه سبحانه بالعدل وأرشد إلى العفو والإحسان في جملة مواطن قال الله عز وجل : ﴿**وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (٤٠) وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُوْلَئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ (٤١) إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٤٢) وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ**﴾ [الشورى: ٤٠ - ٤٣]

---

(١) البخاري (حديث ٤٨٣٨) .

(٢) **صحيح وله شواهد** ، وقد أخرجه الترمذي (٢٠٨٥ مع تحفة الأحوذي) وسيأتي لهذا مزيد في ثنايا هذا الكتاب .

• فقوله تعالى : ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ عدلٌ .

• وقوله تعالى : ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ إرشاد إلى الإحسان والعفو .

• وقوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ﴾ [النحل: ٩٠] فالإحسان هنا العفو على رأي كثير من العلماء .

• وكذلك قوله تعالى : ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾ فيه بيان عظيم فضل الإحسان والعفو والصبر .

• وكذلك في قوله تعالى : ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنفَ بِالأَنفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾ [المائدة: ٤٥] كل هذا عدلٌ .

وقوله : ﴿فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ﴾ [المائدة: ٤٥] إرشاد إلى العفو .

• وكذلك قوله تعالى : ﴿لا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلاَّ مَن ظُلِمَ﴾ [النساء: ١٤٨] عدل ؛ فيجوز للمظلوم أن ينتصر بقدر مظلمته .

وقوله تعالى: ﴿أَوْ تَعْفُوا عَن سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ [النساء: ١٤٩] إرشاد إلى العفو والإحسان .

• وأيضًا قوله تعالى : ﴿ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ اللَّهُ﴾ [الحج: ٦٠] عدلٌ .

وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾ [الحج: ٦٠] فيه إرشاد إلى العفو .

• فهنيئًا له من عفا عن الناس وسلك سبيل المحسنين .

• هنيئًا له من أخذ بمعالي الأمور وعظائم الأمور وصبر وعفا عن الناس.

● هنيئًا له من ملك نفسه عند الغضب ولم يؤاخذ أخاه بسيئ الفعل بل عفا وتجاوز .

كل هذا خير !

ولك أن تنتصر بقدر مظلمتك

وليس معنى أخذِ الشخص حقه أحيانًا بقدر مظلمته أنه ظالم للناس ؛ بل هو محق إذا لم يتجاوز في الظلم والاعتداء ، بل والله يدافع عنه .

قال تعالى مثنيًا على أهل الإيمان : ﴿ **وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ** ﴾ [الشورى: ٣٩، ٤٠] .

وقال تعالى : ﴿ **ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ اللَّهُ** ﴾ [الحج: ٦٠] .

● وأذكر هنا واقعة حدثت لرسول الله ﷺ في مرض موته .

أخرج البخاري ومسلم[١] من حديث عائشة رضي الله عنها قالت : لددناه[٢] في مرضه فجعل يشير إلينا أن لا تلدوني فقلنا: كراهية المريض للدواء ، فلما أفاق قال : « **ألم أنهكم أن تلدوني ؟** » قلنا : كراهية المريض للدواء ، فقال : « **لا يبقى في البيت أحدٌ إلا لُدَّ وأنا أنظر إلا العباس فإنه لم يشهدكم** » .

---

(١) حديث (٥٧١٢) ومسلم (حديث ٢٢١٣) .

(٢) اللدود هو الدواء الذي يُصب في أحد جانبي فمِّ المريض .

فانظر إلى قوله عليه الصلاة والسلام : « **لا يبقى أحدٌ في البيت إلا لُدَّ وأنا أنظر** » !!!

● وها هي أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها تنتصر من أم المؤمنين زينب رضي الله عنها أمام رسول الله ﷺ لما شعرت أن رسول الله ﷺ يقرّها على هذا الانتصار .

أخرج الإمام مسلم[1] في « صحيحه » من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت : أرسل أزواج النبي ﷺ فاطمة ، بنت رسول الله ﷺ، إلى رسول الله ﷺ . فاستأذنت عليه وهو مضطجع معي في مرطي . فأذن لها . فقالت : يا رسول الله ! إن أزواجك أرسلنني إليك يسألنك العدل في ابنة أبي قحافة . وأنا ساكتةٌ . قالت : فقال لها رسول الله ﷺ : « **أي بنية! ألست تحبين ما أُحبُّ** ؟ » فقالت : بلى . قال : « **فأحبي هذه** » قالت ، فقامت فاطمة حين سمعت ذلك من رسول الله ﷺ . فرجعت إلى أزواج النبي ﷺ فأخبرتهن بالذي قالت . وبالذي قال لها رسول الله ﷺ . فقلن لها : ما نراك أغنيت عنا من شيءٍ . فارجعي إلى رسول الله ﷺ فقولي له : إن أزواجك ينشدنك العدل[2] في ابنة أبي قحافة . فقالت فاطمة : والله ! لا أكلمه فيها أبدًا . قالت عائشة : فأرسل أزواج النبي ﷺ زينب بنت جحشٍ، زوج النبي ﷺ ، وهي التي كانت تساميني[3] منهن في المنزلة عند رسول الله ﷺ . ولم أر امرأةً قط خيرًا في الدين من زينب . وأتقى لله . وأصدق

(١) مسلم (حديث ٢٤٤٢) .

(٢) قال بعض العلماء : أي يطلبن منك العدل في المحبة القلبية .

(٣) تساميني : أي : تعادلني وتضاهيني في الخطورة والمنزلة الرفيعة . مأخوذ من السموّ. وهو الارتفاع .

حديثًا . وأوصل للرحم . وأعظم صدقةً . وأشد ابتذالاً لنفسها في العمل الذي تصدق به ، وتقرب به إلى الله تعالى . ما عدا سورةً[(١)] من حَدٍّ[(٢)] كانت فيها تسرع منها الفيئة[(٣)] . قالت : فاستأذنت على رسول الله ﷺ . ورسول الله ﷺ مع عائشة في مرطها . على الحالة التي دخلت فاطمة عليها وهو بها . فأذن لها رسول الله ﷺ . فقالت : يا رسول الله ! إن أزواجك أرسلنني إليك يسألنك العدل في ابنةِ أبي قحافة . قالت ثم وقعت بي[(٤)] . **فاستطالت علي . وأنا أرقب رسول اللَّه ﷺ ، وأرقب طرفه ، هل يأذن لي فيها. قالت : فلم تبرح زينب حتى عرفت أن رسول اللَّه ﷺ لا يكره أن أنتصر . قالت : فلما وقعت بها لم أنشبها[(٥)] حين[(٦)] أنحيت عليها[(٧)] . قالت : فقال رسول اللَّه ﷺ : وتبسم : « إنها ابنةُ أبي بكرٍ »** .

● وكذلك فانظر إلى الآية التي قبلها ، وهي قوله تعالى : ﴿ **وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ** ﴾ [الشورى: ٣٩].

---

(١) من حد : هكذا هو في معظم النسخ . سورة من حدٍّ . وفي بعضها : من حدةٍ . وهي شدة الخلق وثورانه .

(٢) الفيئة : الرجوع . ومعنى الكلام أنها كاملة الأوصاف إلا أن فيها شدة خلُق وسرعة غضب تسرع منها الرجوع . أي : إذا وقع ذلك منها رجعت عنه سريعًا ، ولا تصرّ عليه .

(٣) ثم وقعت بي : أي : نالت مني بالوقيعة فيّ .

(٤) لم أنشبها : أي : لم أمهلها .

(٥) حين : في بعض النسخ حتى ، بدل حين . وكلاهما صحيح . ورجح القاضي حين.

(٦) أنحيت عليها : أي : قصدتها واعتمدتها بالمعارضة .

(٧) أثخنتها : أي : قمعتها وقهرتها .

وكذلك قوله تعالى : ﴿ **ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ اللَّهُ** ﴾ [الحج: ٦٠].

وكذلك فانظر إلى قوله تعالى : ﴿ **وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا** ﴾ [الإسراء: ٣٣].

فانظر إلى الثناء على القوم في قوله : ﴿ **وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ** ﴾ [الشورى: ٣٩].

● فالنفس بشرية ، والظلم حرام ، والمظلوم لا يكاد يصبر على الظالم في كل الأحوال ، وليس كل ظالم يُتحمل ويُطاق ، ومن ثمَّ شُرِع القصاص في الدنيا ، بل وكما قال تعالى : ﴿ **وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴾ [البقرة: ١٧٩].

فكم من ظالمٍ إذا ترك يتمادى في ظلمه وفي غيِّه وفي شره وفساده !!

● وكذلك العفو لا يُندب إليه ولا يُرشد إليه في كل الأوقات ؛ فقد يفهم العفو عند قومٍ من أهل الغباء والجهل على أنه ضعف وخور !!

وقد يفهم الصفح على أنه استسلام للظلم ، ومن ثمَّ يتمادى الظالم في ظلمه والطاغي في طغيانه والباغي في بغيه !!

ألا ترى أن الله سبحانه وتعالى قال : ﴿ **وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ** ﴾ [الحجرات: ٩].

● قد يفهم شخصٌ قصة أبي بكر مع مسطح على غير وجهها ويختلط عليه الأمر فمسطح كما هو معلوم رمى أم المؤمنين عائشة وقذفها بالفاحشة.

وأنزل الله براءة عائشة ، وكُذِّب مسطح وسائر من رماها !

ثم إن أبا بكر قال : والله لا أنفق على مسطح بعد اليوم !

ثم أنزل الله تعالى : ﴿وَلا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور: ٢٢].

فقال أبو بكر حينئذ : والله لا أمنع النفقة عن مسطحٍ أبدًا !

فهذا عفوٌ من أبي بكر ، وهذا صفحٌ من أبي بكر .

ولكن متى هذا العفو ؟! وعن من هذا الصفح ؟!

إنه بعد تبرئة عائشة في قرآنٍ يتلى في المحاريب وفي كل مقام[1]

إنه بعد تكذيب مسطح !!

---

(١) انظر حديث الإفك بتمامه في البخاري (حديث ٤٧٥٠) ومسلم (٢٧٧٠) ففيه من حديث عائشة رضي الله عنها : فلما أنزل الله في براءتي قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه - وكان يُنفق على مسطح بن أثاثة لقرابته منه وفقره - : والله لا أنفق على مسطح شيئًا أبدًا بعد الذي قال لعائشة ما قال : فأنزل الله : ﴿وَلا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور : ٢٢] قال أبو بكر : بلى والله إني أحب أن يغفر الله لي فرجع إلى النفقة التي كانت ينفق عليه وقال : والله لا أنزعها منه أبدًا .

إنه بعد انكسار مسطح !! وبعد إقراره بالخطأ على نفسه ونزول القرآن بتخطئة وتكذيب من رمى عائشة رضي الله عنها .

فالعفو هنا له وجه ، وأي وجه ، إن وجهه قوى واضح .

• أما قوم آخرون فيفهمون الأمر على غير وجهه ! يظلمون الناس ويستمرون على ظلمهم ويصفون الناس بأنهم يثأرون لأنفسهم !!

• يتمادون في الظلم والغي ويطلبون العفو من الناس !

كأنهم يقولون للناس : اصبروا على ضربنا لكم ، واصبروا على أذانا ، واصبروا على سرقتنا لأموالكم وانتهاكنا لأعراضكم ، فشتان ما بين عفوٍ وضعفٍ وخَوْرٍ واستسلام !

فافهم واعقل بارك الله فيك .

• **والنفس لا تطيق ولا تتحمل الظلم في كل الأوقات كما أسلفنا ،** ولا من كل الأشخاص ، فرسولنا صلوات الله وسلامه عليه تغير موقفه مع هند عن موقفه مع وحشي بن حرب قاتل حمزة ، مع أن وحشيًّا قد أسلم ، وهند قد أسلمت .

• في « الصحيحين »(١) من حديث عائشة رضي الله عنها قالت : جاءت هند بنت عتبة فقالت : يا رسول الله ما كان على ظهر الأرض من أهل خباءٍ أحبُّ إليَّ أن يُذلُّوا من أهل خبائك ، ثم ما أصبح اليوم على ظهر الأرض أهل خباء أحب إليَّ أن يُعزُّوا من أهل خبائك ، قال : « **وأيضًا والذي نفسي بيده** » .

---

(١) البخاري (حديث ٣٨٢٥) ومسلم (ص١٣٣٩) .

● وفي « صحيح البخاري »[١] من طريق جعفر بن عمرو بن أمية الضمري قال : خرجت مع عبيد الله بن عدي بن الخيار، فلما قدمنا حمص قال لي عبيد الله بن عدي : هل لك في وحشي نسأله عن قتل حمزة ؟ قلت: نعم . وكان وحشي يسكن حمص ، فسألنا عنه ، فقيل لنا : هو ذاك في ظل قصره كأنه حَمِيت قال : فجئنا حتى وقفنا عليه بيسير ، فسلمنا، فرد السلام ، قال : وعبيد الله معتجز بعمامته ما يرى وحشي إلا عينيه ورجليه ، فقال عبيد الله : يا وحشي أتعرفني ؟ قال : فنظر إليه ثم قال : لا والله، إلا أني أعلم أن عدي بن الخيار تزوج امرأة يقال لها أم قتالٍ بنت أبي العيص ، فولدت له غلامًا بمكة فكنت أسترضع له ، فحملت ذلك الغلام مع أمه فناولتها إياه ، فلكأني نظرت إلى قدميك . قال فكشف عبيد الله عن وجهه ثم قال : ألا تخبرنا بقتل حمزة ؟ قال : نعم ، إن حمزة قتل طعيمة بن عدي بن الخيار ببدر ، فقال لي مولاي جبير بن مطعم : إن قتلت حمزة بعمي فأنت حر قال : فلما أن خرج الناس عام عينين - وعينين جبلٌ بحيال أحد ، بينه وبينه وادٍ - خرجت مع الناس إلى القتال ، فلما اصطفوا للقتال خرج سباعٌ فقال : هل من مبارز ؟ قال فخرج إليه حمزة بن عبد المطلب فقال : يا سباع ، يا ابن أم أنمار مقطعة البظور ، أتحاد الله ورسوله ﷺ ؟ قال : ثم شد عليه ، فكان كأمس الذاهب . قال : وكمنت لحمزة تحت صخرة ، فلما دنا مني رميته بحربتي فأضعها في ثُنَّته حتى خرجت من بين وَرِكيه ، قال : فكان ذاك العهدَ به . فلما رجع الناس رجعت معهم ، فأقمت بمكة حتى فشا فيها الإسلام . ثم خرجت إلى الطائف ، فأرسلوا إلى رسول الله ﷺ رُسُلاً ، فقيل لي : إنه لا يهيج الرُّسُلَ ، قال : فخرجت

(١) البخاري (حديث ٤٠٧٢) .

معهم حتى قدمت على رسول الله ﷺ ، فلما رآني قال : « **أنت وحشي** »، قلت : نعم . قال : « **أنت قتلت حمزة ؟** » قلت : قد كان من الأمر ما بلغك . قال: « **فهل تستطيع أن تغيب وجهك عني ؟**» قال : فخرجت . فلما قبض رسول الله ﷺ فخرج مسيلمة الكذاب قلت : لأخرجن إلى مسيلمة لعلي أقتله فأكافئ به حمزة . قال : فخرجت مع الناس فكان من أمره ما كان ، قال : فإذا رجل قائمٌ في ثلمة جدارٍ كأنه جملٌ أورق ثائر الرأس ، قال فرميته بحربتي . فأضعها بين ثدييه حتى خرجت من بين كتفيه. قال ووثب رجلٌ من الأنصار فضربه بالسيف على هامته .

قال قال عبد الله بن الفضل : فأخبرني سليمان بن يسار أنه سمع عبد الله بن عمر يقول : « فقالت جاريةٌ على ظهر بيتٍ : وا أمير المؤمنين ، قتله العبد الأسود ».

● **وها هو مَثَلٌ طيب رائع لبيان أثر العفو** ، وفيه بُعد نظرٍ من رسول الله ﷺ في شأن رجل كافر لكن يُتوقع منه الخير ، ها هي قصته فانظرها وانظر إلى أثر العفو عن رجلٍ يعرف قيمة العفو ، عن رجل له شيم ومبادئ وقيم .

في « الصحيحين »[1] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : بعث

---

(١) البخاري (٤٣٧٢) ومسلم (حديث ١٧٦٤) .

وفي فعل رسول الله ﷺ ـ ذلك الفعل الرشيد ألا وهو ربط ثمامة في المسجد من الفقه ما لا يخفى، وذلك ـ والله أعلم ـ حتى يستمع ثمامة إلى القرآن الذي يُتلى ويرى الصلوات وحال المسلمين فيها وينظر إلى أخلاق المسلمين عن قرب بعيدًا عن النقولات الكاذبة والتشويشات التي يشوش بها أهل الكفر وأهل الإسراف على المسلمين ، وكذلك بعيدًا عن الأراجيف =

رسول الله ﷺ خيلاً قِبَل نجدٍ . فجاءت برجلٍ من بني حنيفة يقال له ثمامة ابن أُثالٍ . سيد أهل اليمامة. فربطوه بساريةٍ من سواري المسجد. فخرج إليه رسول الله ﷺ فقال : « **ماذا عندك ؟ يا ثمامة** » فقال : عندي ، يا محمد ! خيرٌ . إن تقتل تقتل ذا دمٍ . وإن تنعم تنعم على شاكرٍ . وإن كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت . فتركه رسول الله ﷺ . حتى كان بعد الغد . فقال : « **ما عندك ؟ يا ثمامة !** » قال : ما قلت لك . إن تنعم تنعم على شاكرٍ . وإن تقتل تقتل ذا دمٍ . وإن كنت تريد المالِ فسل تعط منه ما شئت. فتركه رسول الله ﷺ حتى كان من الغد . فقال : « **ماذا عندك ؟ يا ثمامة !** » فقال : عندي ما قلت لك . إن تنعم تنعم على شاكرٍ . وإن تقتل تقتل ذا دمٍ. وإن كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت . فقال رسول الله ﷺ : «**أطلقوا ثمامة**» فانطلق إلى نخلٍ قريبٍ من المسجد . فاغتسل . ثم دخل المسجد فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله. يا محمد! والله ! ما كان على الأرض وجهٌ أبغض إلى من وجهك فقد أصبح وجهك أحب الوجوه كلها إلي . والله ! ما كان من دينٍ أبغض إلي من دينك. فأصبح دينك أحب الدين كله إلي . والله! ما كان من بلدٍ أبغض إلي من بلدك . فأصبح بلدك أحب البلاد كلها إلي . وإن خيلك أخذتني وأنا

= والشائعات فإذا رآهم وعرف حقيقتهم ورآهم في صلواتهم ، وسمع قول المؤذن : الله أكبر الله أكبر ، وقول المؤذن : لا إله إلا الله ، ورأى صفوف المسلمين ، ورأى توقير المسلمين لرسول الله ﷺ ، وتوقيرهم بعضهم لبعض وشفقة الرسول ﷺ عليهم ، إلى غير ذلك مما يراه الداخل عليهم والمختلط بهم ، فحينئذ يُسلم وينشرح صدره للإسلام للصورة الطيبة التي رآها منهم .

وهذا والله أعلم كقوله تعالى : ﴿**وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ**﴾ [التوبة: ٦] .

أريد العمرة. فماذا ترى؟ فبشره رسول الله ﷺ . وأمره أن يعتمر . فلما قدم مكة قال له قائلٌ: أصبوت[١]؟ فقال: لا. ولكني أسلمت مع رسول الله ﷺ. ولا، والله! لا يأتيكم من اليمامة حبةُ حنطةٍ حتى يأذن فيها رسول الله ﷺ .

ومن هذا الباب[*] : **دعاء الرسول ﷺ على أقوام ودعاؤه لأقوام .**

● أخرج البخاري ومسلم[٢] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قَدِم الطفيل بن عمرو على الرسول ﷺ فقال : يا رسول الله إن دوسًا عصت وأبت فادع الله عليها فظن الناس أنه يدعو عليهم فقال : « **اللهم اهد دوسًا وأْت بهم** » .

● وفي « صحيح مسلم »[٣] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : كنت أدعو أمي إلى الإسلام وهي مشركة ، فدعوتها يومًا فأسمعتني في رسول الله ما أكره ، فأتيت رسول الله ﷺ وأنا أبكي ، قلت : يا رسول الله إني كنت أدعو أمي إلى الإسلام فتأبى عليَّ فدعوتها اليوم فأسمعتني فيك ما أكره ، فادع الله أن يهدي أم أبي هريرة فقال رسول الله ﷺ : « **اللهم اهد أم أبي هريرة** » فخرجت مستبشرًا بدعوة نبي الله ﷺ فلما جئت فصرت إلى الباب فإذا هو مجاف ، فسمعت أمي خشف قدمي ، فقالت : مكانك يا أبا هريرة وسمعت خضخضة الماء، قال: فاغتسلت ولبست درعها وعجلت عن خمارها ففتحت الباب ثم قالت : يا أبا هريرة أشهد أن لا إله إلا الله وأن

(١) صبوت : أي : خرجت من دينك الذي كنت عليه .

(*) باب الانتصار والمؤاخذة بقدر المظلمة أو العفو .

(٢) البخاري (مع الفتح ١١/ ١٩٦) ومسلم (مع النووي ١٦/ ٧٧).

(٣) مسلم (١٦/ ٥١ مع النووي) .

محمداً عبده ورسوله .

● وفي « صحيح مسلم »[(١)] من حديث عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : « **اللهم من ولي من أمر أمتي شيئًا فشق عليهم فاشقق عليهم ، ومن ولي من أمر أمتي شيئًا فرفق بهم فارفق به** » .

● وقال عليه الصلاة السلام[(٢)] : « **اللهم عليك بقريش اللهم عليك بأبي جهل وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة وأمية بن خلف وعقبة بن أبي معيط** » .

● **وكذلك الأنبياء عليهم الصلاة السلام منهم من دعا على القوم ومنهم من دعا لهم .**

● قال نوح عليه الصلاة والسلام : ﴿ **وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا (٢٦) إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلا يَلِدُوا إِلاَّ فَاجِرًا كَفَّارًا** ﴾ [نوح: ٢٦، ٢٧].

فدعا نوح عليه الصلاة والسلام على قومه لما رأى أن لا جدوى في بقائهم بل رأى أن في بقائهم إضرارًا بأهل الصلاح وإضلالاً للعباد ، وقد قال الله تعالى: ﴿ **وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلاَّ مَن قَدْ آمَنَ** ﴾ [هود:٣٦]

● وكذلك نبي الله موسى ﷺ قال : ﴿ **رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ**

(١) مسلم (مع النووي ١٢/ ٢١١) .

(٢) البخاري (مع الفتح ١/ ٣٤٩) ومسلم (مع النووي ١٢/ ١٥٠) .

وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الأَلِيمَ ﴾ [يونس: ٨٨].

● أما الخليل إبراهيم ﷺ فقد قال : ﴿ **فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾ [إبراهيم: ٣٦].

● وعيسى عليه الصلاة والسلام يقول : ﴿ **إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** ﴾ [المائدة: ١١٨].

وكذلك أصحاب نبينا ﷺ ورضوان الله عليهم تجاوزوا أحيانًا عن من ظلمهم وجهل عليهم وأحيانًا دعوا على من ظلمهم .

فأبو بكر ـ كما تقدم ـ عفا عن مسطح مع قذف مسطح لابنته عائشة رضي الله عنها وتبرئة الله لها .

وهذا عمر يتجاوز عن جهل الجاهل .

أخرجه البخاري(١) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : قدم عيينة بن حصن بن حذيفة فنزل على ابن أخيه الحر بن قيس ، وكان من النفر الذين يدنيهم عمر ، وكان القراء أصحاب مجالس عمر ومشاورته كهولاً كانوا أو شبانًا . فقال عيينة لابن أخيه: يا ابن أخي لك وجه عند هذا الأمير، فاستأذن لي عليه ، قال : سأستأذن لك عليه . قال ابن عباس : فاستأذن الحر لعيينة ، فأذن له عمر ، فلما دخل عليه قال : هي يا ابن الخطاب ، فوالله ما تعطينا الجزل ، ولا تحكم بيننا بالعدل . فغضب عمر حتى هم به، فقال له الحر: يا أمير المؤمنين ، إن الله تعالى قال لنبيه ﷺ : ﴿ **خُذِ الْعَفْوَ ، وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ ، وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ** ﴾ وإن هذا من الجاهلين . والله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه ، وكان وقافًا عند كتاب الله .

---

(١) البخاري (حديث ٤٦٤٢) .

● **أما دعاؤهم على من ظلمهم :**

فهذا سعد بن أبي وقاص يدعو على رجل افترى عليه الكذب ، وافترى عليه ووصفه بما ليس فيه .

أخرج البخاري[1] من حديث جابر بن سمرة رضي الله عنه قال : شكا أهل الكوفة سعداً إلى عمر رضي الله عنه ، فعزله ، واستعمل عليهم عماراً ، فشكوا حتى ذكروا أنه لا يحسن يصلي . فأرسل إليه فقال : يا أبا إسحاق إن هؤلاء يزعمون أنك لا تحسن تصلي . قال أبو إسحاق : أما أنا والله فإني كنت أصلي بهم صلاة رسول الله ﷺ ما أخرم عنها ، أصلي صلاة العشاء فأركد في الأولين وأخف في الأخريين. قال: ذاك الظن بك يا أبا إسحاق. فأرسل معه رجُلاً - أو رجالاً - إلى الكوفة فسأل عنه أهل الكوفة ، ولم يدع مسجداً إلا سأل عنه ، ويثنون معروفاً . حتى دخل مسجداً لبني عبس ، فقام رجلٌ منهم يقال له : أسامة بن قتادة يكنى أبا سعدة قال : أما إذ نشدتنا فإن سعداً كان لا يسير بالسرية ، ولا يقسم بالسوية ، ولا يعدل في القضية . قال سعد : أما والله لأدعون بثلاث : **اللهم إن كان عبدك هذا كاذبًا قام رياءً وسمعةً فأطل عمرهُ . وأطل فقره . وعرِّضه بالفتن** . وكان بعد إذا سئل يقول: شيخٌ كبيرٌ مفتون ، أصابتني دعوة سعد . قال عبد الملك : فأنا رأيته بعد قد سقط حاجباه على عينيه من الكبر ، وإنه ليتعرض للجواري في الطرق يغمزهن .

● وهذا سعيد بن زيد رضي الله عنه يدعو على أروى بنت أويس لما ادَّعت عليه أنه أخذ شيئًا من أرضها ظُلمًا .

(١) البخاري (حديث ٧٥٥) .

أخرج الإمام مسلم[1] في « صحيحه » من طريق هشام بن عروة عن أبيه أن أروى بنت أويسٍ ادعت على سعيد بن زيدٍ أنه أخذ شيئًا من أرضها . فخاصمته إلى مروان بن الحكم فقال سعيدٌ : أنا كنت آخذ من أرضها شيئًا بعد الذي سمعت من رسول الله ﷺ ؟ قال : وما سمعت من رسول الله ﷺ؟ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **من أخذ شبرًا من الأرض ظلمًا طوقه[2] إلى سبع أرضين** » . فقال له مروان : لا أسألك بينةً بعد هذا . فقال: اللهم ! إن كانت كاذبةً فعَمِّ بصرها واقتلها في أرضها .

قال : فما ماتت حتى ذهب بصرها . ثم بينا هي تمشي في أرضها إذ وقعت في حفرةٍ فماتت .

● وفي رواية لمسلم أيضًا : اللهم ! إن كانت كاذبةً ، فأعم بصرها ، واجعل قبرها في دارها .

قال : فرأيتها عمياء تلتمس الجدر . تقول : أصابتني دعوة سعيد بن زيدٍ . فبينما هي تمشي في الدار مرت على بئر في الدار ، فوقعت فيها . فكانت قبرها .

● فانظر عمن ستعفو ؟ ، وهل عفوك عنه يجلب الإصلاح؟

أم أن عفوك عنه سيزيده عتوًّا وفسادًا وظلمًا وتطاولاً وبغيًا على العباد؟!

● فإذا كان عفوك عنه سيجلب الصلاح وسيخمد الفتنة وسيكون سببًا لدفع الشر والفساد ؛ فاسلك حينئذٍ سبيل الكاظمين الغيظ والعافين عن

---

(١) مسلم (ص١٢٣١) .

(٢) طوِّقه : أي : جُعل طوقًا في عنقه .

الناس فالله يحب المحسنين .

● أما إذا كان العفو سيزيد الشخص عتوًّا وظلمًا وفسادًا وبغيًا على العباد، فعليك حينئذٍ أن تأخذ بالقصاص وأن تردع الباغي وأن ترد الظالم عن ظلمه وتوقف المفسد عن فساده فالله لا يحب المفسدين .

وقد جاءت سنة رسول الله ﷺ بهذا وبذاك ، ومن يُرد الله به خيرًا يفقهه في الدين .

فعلى الشخص أن يعرف متى يعفو ؟ ومتى يؤاخذ ؟

متى يصفح ؟ ومتى ينتصر بقدر مظلمته ؟

ويسأل الله التوفيق والسداد في كل الأحوال.

ولك أن تأخذ بقدر مظلمتك كما أسلفنا ، ولكن :

إياك أن تأخذ أكثر من مظلمتك

أخرج مسلم[1] في « صحيحه » من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **المستبان ما قالا فعلى البادئ ما لم يعتدِ المظلوم** ».

أي : أن إثم السباب الواقع من اثنين مختصٌّ بالبادئ منهما كله إلا أن يتجاوز الثاني قدر الانتصار فيقول للبادئ أكثر مما قال له .

وقد قال الله تبارك وتعالى : ﴿ **وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا** ﴾ [الشورى: ٤٠].

وقال تعالى : ﴿ **ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ اللَّهُ** ﴾ [الحج: ٦٠] فأُذن للمظلوم في الانتصار بقدر مظلمته ولا يتعداها .

(١) مسلم (حديث ٢٥٨٧) .

وقد قال تعالى : ﴿ **وَمَن قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنصُوراً** ﴾ [الإسراء: ٣٣].

ومن هنا تظهر فائدة العفو جلية واضحة فالمظلوم لا يستطيع في كثيرٍ من الأحيان أن يضبط المظلمة ويقدرها بدقة فمن ثمَّ قد يتجاوز عند انتصاره فيزيد في الانتصار لنفسه عن المظلمة التي ظُلمها فيقع في الإثم إن تجاوز قدر المظلمة التي ظلمها ، فحينئذ تظهر فائدة العفو ، ففضلاً عن كونه لم يوقع نفسه في الإثم ، فقد نال بعفوه الأجر ، والله أعلم .

ما على المحسنين من سبيل

ولا لوم ولا توبيخ على مُحسن من المحسنين إذا ذهبت إليه تطلب منه شيئًا فأعطاك الميسور ، وإن كان الميسور قليلاً فلا يعاتب فهو محسن يفعل خيرًا فليشكر على هذا الخير ، حتى ولو لم يُقدِّم إلا الكلمة الطيبة فهو أولاً وأخيرًا محسنٌ وما يفعله ليس بواجب عليه ومن ثمَّ فلا يُتجه إليه بلومٍ ولا بعتاب ، وكذلك المؤمنين الفقراء الذين لا يجدون ما ينفقون ليس عليهم حرج ولا الضعفاء ولا على المرضى كذلك إذا تخلفوا عن الجهاد والخير قال الله تعالى : ﴿ **لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلا عَلَى الْمَرْضَىٰ وَلا عَلَى الَّذِينَ لا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾ [التوبة: ٩١].

فإذا ذهبت إلى شخصٍ تسأله شفاعة أو تطلب منه مالاً أو تسأله عونًا لك على مسألتك فقدَّم ما عنده أو لم يُقدِّم إلا الكلمة الطيبة فلا لوم عليه ولا عتاب ، فافهم ذلك واتهم نفسك قبل أن تتهم الناس وأدب نفسك قبل أن تلوم الناس .

إذا أحب أحدكم أخاه فليعلمه ذلك

وهذا له عظيم الأثر في نفس المؤمن ثم هو من الأمور التي تجلب المودة وتزيد في المحبة وقد أمر بذلك النبي ﷺ .

أخرج ابن السني[١] في « عمل اليوم والليلة » بإسناد صحيح من حديث المقدام بن معدي كرب أن النبي ﷺ قال : « **إذا أحب أحدكم أخاه فليُعلمه ذلك** » .

اشفعوا فلتؤجروا

● والشفاعة ، وفيها الوساطة ، سببٌ طيبٌ في توطيد أواصر المحبة ففيها جلب للمودة بين طالب الشفاعة والشافع والمشفوع إليه ، ومن ثمَّ حث الله سبحانه وتعالى عليها في كتابه الكريم ما دامت شفاعة حسنة ليس فيها إضرار بأحد ولا سلبٌ لحقوق أحد ولا تعدي على حدٍّ من حدود الله ولا تعطيل لحد .

أما إذا حالت الشفاعة عند السلطان دون إقامة الحدود فهي حينئذ حرام، وكذلك إذا كان الشفاعة تضييع لحقوق أقوام فهي حرام ، قال الله تعالى : ﴿ **مَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُ كِفْلٌ مِّنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا** ﴾ [النساء: ٨٥].

---

(١) ابن السني في « عمل اليوم والليلة » (رقم ١٩٦) وللحديث شاهد فيه المبارك بن فضالة مدلس وقد عنعن ، وبقية رجاله ثقات ولفظه : أن رجلاً قال : يا رسول الله إني أحب فلانًا قال : « فأخبرته ؟ » قال : لا قال : « قم فأخبره » قال : فقال إني أحبك في الله يا أخي فلان ، قال : فأحبك الله الذي أحببتني له . أخرجه ابن السني (١٩٧) .

● وفي « الصحيحين »[١] من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ إذا أتاه طالب حاجةٍ أقبل على جلسائه فقال: «**اشفعوا فلتؤجروا وليقض اللّه على لسان نبيه ما شاء** » .

ففي الحديث الحث على الشفاعة، وإن لم تُقبل فالشافع مأجور ، وقد شفع النبي ﷺ ، ومع فضله وكونه سيد ولد آدم إلا أن شفاعته لم تقبل عند امرأةٍ من النساء كانت أمة فأعتقت ومع ذلك لم يُثرِّب عليها رسول الله ﷺ .

● ففي « صحيح البخاري » من حديث ابن عباس[٢] رضي الله عنهما أن زوج بريرة كان عبدًا يُقال له مُغيث ، كأني أنظر إليه يطوف خلفها يبكي ودموعه تسيل على لحيته ، فقال النبي ﷺ لعباس : « **يا عباس ألا تعجب من حُبِّ مُغيث بريرة ، ومن بُغض بريرة مغيثًا** » ، فقال النبي ﷺ: «**لو راجعته**»، قالت : يا رسول الله تأمرني ؟ قال : « **إنما أنا أشفع** » ، قالت : لا حَاجة لي فيه [٣] .

---

(١) البخاري (حديث ٦٠٢٨) ومسلم (٢٦٢٧).

(٢) البخاري (حديث ٥٢٨٣) .

(٣) قال الحافظ ابن حجر رحمه الله (فتح الباري ٩/ ٣٢٤) : وفيه جواز مخالفة المشير فيما يشير به في غير الواجب ، واستحباب شفاعة الحاكم في الرفق بالخصم حيث لا ضرر ولا إلزام ولا لوم على من خالف وغضب ولو عظم قدر الشافع ، وترجم له النسائي « شفاعة الحاكم في الخصوم قبل فصل الحكم ولا يجب على المشفوع عنده القبول » .

ويؤخذ منه أن التصميم في الشفاعة لا يسوغ فيما تشق الإجابة فيه على المسئول ، بل يكون على وجه العرض والترغيب ، وفيه جواز الشفاعة قبل أن يسألها المشفوع له لأنه لم ينقل أن مغيثًا سأل النبي ﷺ أن يشفع له ، كذا قيل ، وقد قدمت أن في بعض الطرق أن العباس هو الذي سأل النبي ﷺ في ذلك ، فيحتمل أن يكون مغيث سأل العباس في ذلك ويحتمل أن يكون العباس ابتدأ ذلك من قبل نفسه شفقة منه على مغيث ويؤخذ منه استحباب=

أما الحدود إذا وصلت الحاكم فلا شفاعة فيها لقول النبي ﷺ لأسامة لما شفع في شأن المخزومية التي سرقت : « **أتشفـع في حدٍّ من حدود الله يا أسامة** »[١] .

● وقال عليه الصلاة والسلام : « **من حالت شفاعته دون حدٍّ من حدود الله فقد ضاد الله ...** »[٢] .

وقال القاضي عياض[٣] رحمه الله تعالى : وأما المصرون على فسادهم المشتهرون في باطلهم فلا يشفع فيهم ليزجروا عن ذلك .

قلت : فجديرٌ بمن طُلبت منه شفاعة أن لا يبخل بها ، بل يشفع ولا يتردد وإن ظن أن شفاعته سترد فهو مأجور على كل حال إن شاء الله .

قلت : ومن أبواب الشفاعة التوسط لشخص لكي يعمل في عملٍ أو يوظَّف في وظيفةٍ من الوظائف ، فهذه الوساطة محمودة والوسيط مأجور إذا كان يشفع في وظيفة غير مشبوهة ولا محرمة ، وكذلك إذا لم يكن المشفع

= إدخال السرور على قلب المؤمن ، وقال الشيخ أبو محمد بن أبي جمرة نفع الله به : فيه أن الشافع يؤجر ولو لم تحصل إجابته ، وأن المشفوع عنده إذا كان دون قدر الشافع لم تمتنع الشفاعة .

(١) البخاري (حديث ٦٧٨٨) ومسلم (١٦٨٨) من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعًا.

(٢) **صحيح** : أخرجه أبو داود (حديث ٣٥٩٧) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا .

وقد رأى بعض أهل العلم أن الشفاعة في الحدود جائزة ما لم تبلغ السلطان فإذا بلغت السلطان فلا شفاعة حينئذٍ (انظر « سنن البيهقي » ٨/ ٣٣٣).

(٣) كما نقل ذلك عنه الحافظ (١٠/ ٤٦٦) .

فيه لن يأخذ حق أحد ولن يتقلد منصبًا ليس له بكفؤ ، وأن لا ترجع الشفاعة بضررٍ على أحدٍ من المسلمين .

التعفف عما في أيدي الناس

● وهذا باب عظيم لجلب محبة الناس فالزهد فيما بأيديهم يُحببهم فيك، ويرفع من شأنك عندهم ، أما التطلع الدائم إلى ما في أيدي الناس فيحملهم على ازدرائك ، بل والسخرية منك واحتقارك فالناس يحبون من يعطيهم[(١)] ، ومن ثمَّ جاءت النصوص تحث على التعفف وقصر النظر عما في أيدي الناس .

قال الله تبارك وتعالى : ﴿ **وَلا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ** ﴾ [طه: ١٣١].

● وأخرج البخاري ومسلم[(٢)] من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه : إن ناسًا من الأنصار سألوا رسول الله ﷺ فأعطاهم ثم سألوه فأعطاهم ثم سألوه فأعطاهم حتى نفد ما عنده فقال : « **ما يكون عندي من خير فلن أدخره عنكم ، ومن يستعفف يُعفُّه اللَّه ، ومن يستغن يُغنه اللَّه ، ومن يتصبر يصبره اللَّه وما أعطي أحدٌ عطاء خيرًا وأوسع من الصبر** » .

---

(١) نعم فالناس يحبون من يعطيهم ولا يوقرون من يأخذ منهم ، وذلك أن الناس جبلوا على حب المال ، قال تعالى : ﴿ **وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا** ﴾ فإذا نازعت الناس فيما يحبون كرهوك واستثقلوك .

(٢) البخاري (حديث ١٤٦٩) ومسلم (١٠٥٣) .

● وقد ورد حديث في إسناده مقال : « ازهد في الدنيا يحبك الله ، وازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس » .

وفي « الصحيحين »[١] من حديث حكيم بن حزام رضي الله عنه قال : سألت رسول الله ﷺ فأعطاني ، ثم سألته فأعطاني ، ثم سألته فأعطاني ثم قال : « **يا حكيم ، إن هذا المال خضرةٌ حُلوة ، فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه ، ومن أخذه بإشراف نفسٍ لم يبارك له فيه ، كالذي يأكلُ ولا يشبع . اليد العليا خيرٌ من اليد السفلى**»[٢] قال حكيمٌ : فقلت : يا رسول الله ، والذي بعثك بالحق لا أرزأ أحدًا بعدك شيئًا حتى أفارق الدنيا. فكان أبو بكرٍ رضي الله عنه يدعو حكيمًا إلى العطاء فيأبى أن يقبله منه . ثم إن عمر رضي الله عنه دعاه ليعطيه فأبى أن يقبل منه شيئًا . فقال عمر : إني أشهدكم يا معشر المسلمين على حكيمٍ أني أعرض عليه حقه من هذا الفيء فيأبى أن يأخذه ، فلم يرزأ حكيمٌ أحدًا من الناس بعد رسول الله ، حتى توفي .

● وقال النبي ﷺ فيما أخرجه مسلم في « صحيحه »[٣] : « **وأهل الجنة ثلاثةٌ : ذو سلطانٍ مُقسطٌ متصدق موفَّق ، ورجل رحيمٌ رقيق القلب لكل ذي قربى ومسلم ، وعفيف متعفف ذو عيال** » .

---

(١) البخاري (حديث ١٤٧٢) ومسلم (١٠٣٣) .

(٢) وفي « صحيح مسلم » (١٠٣٣) من حديث ابن عمر مرفوعًا : «.. واليد العليا المنفقة والسفلى السائلة . . ».

(٣) مسلم (حديث ٢٨٦٥) من حديث عياض بن حمار المجاشعي رضي الله عنه .

● وقال النبي ﷺ : « **قد أفلح من أسلم ورزق كفافًا وقنَّعه اللَّه بما آتاه**»[١] .

وقد قال النبي ﷺ[٢] : « **ليس الغنى عن كثرة العرض**[٣] **ولكن الغنى غِنى النفس** » .

أي ليس الغنى بما أُوتي الشخص من عرض الحياة الدنيا وأحوالها ومتاعها ، فمهما أوتي ابن آدم ـ إذا كانت نفسه لا تشبع ـ لا يُعدُّ غنيًّا ما دام لم يقنع بما آتاه الله فهو دائم التطلع أما إذا كانت نفسه قانعة راضية دائمًا فهذا هو الغني إذ ليس له حاجة فيما في أيدي الآخرين والله أعلم .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله[٤] : فغني النفس الذي لا يستشرف إلى المخلوق ، فإن الحر عبدٌ ما طمع ، والعبد حرٌّ ما قنع ، وقد قيل : **أطعت مطامعي فاستعبدتني** ، فكره أن يتبع نفسه ما استشرفت له لئلا يبقى في القلب فقرٌ وطمع إلى المخلوق ، فإنه خلاف التوكل المأمور به وخلاف غنى النفس .

● وفي « الصحيحين »[٥] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن

---

(١) مسلم في « صحيحه » (حديث ١٠٥٤) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما .

(٢) البخاري (٦٤٤٦) ومسلم (١٠٥١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

(٣) العرَض هو ما ينتفع به من متاع الحياة الدنيا .

(٤) « مجموع الفتاوى » (١٨/ ٣٢٩) .

(٥) البخاري (حديث ١٤٧٠) ومسلم (١٠٤٢) .

رسول الله ﷺ قال : « **والذي نفسي بيده لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب على ظهره خيرٌ له من أن يأتي رجلاً فيسأله أعطاه أو منعه** » .

● وفي « صحيح البخاري »(١) من حديث الزبير بن العوام رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « **لأن يأخذ أحدكم حبله فيأتي بحزمة الحطب على ظهره فيبيعها فيكف الله بها وجهه خيرٌ له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه** ».

وفي « سنن أبي داود »(٢) بإسناد صحيح من حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « **المسائل كدوح يكدح(٣) بها الرجل**

---

(١) البخاري (حديث ١٤٧١) .

(٢) أبو داود (حديث ١٦٣٩) .

(٤) فالعمل ليس بعيب ، إنما المذموم مدّ الرجل يده للناس وأن يجعل يده هي السفلى دائمًا ، وهو مستطيع للكسب والارتزاق بإذن الله .

وها هم أنبياء الله صلوات الله وسلامه عليهم وأهل الفضل وأهل الصلاح كانوا يعملون ويرتزقون .

فما بعث الله نبيًّا إلا رعى الغنم كما قال رسول الله ﷺ قالوا : وأنت يا رسول الله ، قال: « نعم كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة » (أخرجه البخاري حديث ٢٢٦٢).

وقد كان زكرياء عليه السلام نجّارًا ، كما قال النبي ﷺ أخرجه مسلم في « صحيحه » (حديث ٢٣٧٩) .

وأيضًا قال الله لداود عليه السلام : ﴿ **اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ** ﴾ [سبأ: ١١].

وها هو سليمان النبي الكريم يقف متفقدًا الطير وسائلاً عن المتخلف منهم فيقول : ﴿ **مَا لِيَ لا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ** ﴾ [النمل: ٢٠].

وأيضًا يراقب الجن وهي تعمل وهو متكئ على عصاه ، قال الله تعالى : ﴿ **فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلاَّ دَابَّةُ الأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا** =

وجهه فمن شاء أبقى على وجهه ومن شاء ترك إلا أن يسأل الرجل ذا سلطان أو في أمرٍ لا يجد منه بُدًا » .

وأخرج أبو داود[1] من حديث ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله

= **يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ**﴾ [سبأ: ١٤].

وقد أوحى الله تعالى إلى نوح عليه السلام: ﴿ **وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا** ﴾ [هود: ٣٧].

وقال الله جل ذكره : ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الأَسْوَاقِ ....** ﴾ [الفرقان: ٢٠].

وقال عمر رضي الله عنه : « ألهاني الصفق بالأسواق » .

وقال أبو هريرة رضي الله عنه : « وإن إخوتي من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالأسواق » (البخاري ٢٠٤٧) ومسلم (٢٤٩٢).

وكان خباب بن الأرت يعمل قينًا (أي : حدادًا).

أخرجه البخاري (٢٢٧٥) ومسلم (مع النووي ١٧/١٣٨) .

وأرسل النبي ﷺ إلى أُبي بن كعب طبيبًا فقطع منه عرقًا ثم كواه عليه (مسلم ٢٢٠٧) .

وقال الله تعالى : ﴿ **عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ...** ﴾ [المزمل: ٢٠].

وقال عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه : « دلوني على السوق » (البخاري ٢٠٤٩) .

وقال تعالى : ﴿ **فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ** ﴾ [الملك: ١٥].

وقال سبحانه: ﴿ **فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ** ﴾ [الجمعة: ١٠]

وكان أبو مسعود البدري يحمل على ظهره ويأتي بمال يتصدق به لما نزلت آية الصدقة (البخاري حديث ١٤١٥) ومسلم (٧/ ١٠٥) .

إلى غير ذلك من الأدلة في هذا الباب ، وكلها تدل على أن الأنبياء وأهل الفضل والصلاح كانوا يلتمسون أبواب الرزق ويطرقونها ويتقون مسألة الناس ـ بل كانوا يتصدقون فقد علموا أن اليد العليا خيرٌ من اليد السفلى .

(١) **إسناده صحيح** وله طرق عن ثوبان (وهو عند أبي داود ١٦٤٣) .

ﷺ : « **من تكفل لي أن لا يسأل الناس شيئًا وأتكفل له بالجنة** » فقال ثوبان: أنا ، فكان لا يسأل أحدًا شيئًا .

وفي « الصحيحين »[١] من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال سمعت عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : « **ما يزال الرجل يسأل الناس حتى يأتي يوم القيامة ليس في وجهه مُزْعةُ لحمٍ** » .

وأخرج الإمام أحمد[٢] بإسناد صحيح عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال عمر : يا رسول الله سمعت فلانًا يقول خيرًا ، ذكر أنك أعطيته دينارين ، قال : « **لكن فلان لا يقول ذلك ولا يثني به ، لقد أعطيته ما بين العشرة إلى المائة** » ، أو قال : « **إلى المائتين** » ، **وإن أحدهم ليسألني المسألة فأعطيها إياه فيخرج بها متأبطًا وما هي لهم إلا نار** » .

قال عمر : يا رسول الله فَلِمَ تعطيهم ؟ قال : « **إنهم يأبون إلا أن يسألوني ويأبى اللَّه لي البخل** » .

● وفي « صحيح مسلم »[٣] من حديث عوف بن مالك رضي الله عنه قال : كنا عند رسول الله ﷺ تسعةً أو ثمانيةً أو سبعةً . فقال : « **ألا تبايعون رسول اللَّه ؟** » وكنا حديث عهد ببيعةٍ . فقلنا : قد بايعناك يا رسول الله ! ثم قال : « **ألا تبايعون رسول اللَّه ؟** » فقلنا : قد بايعناك يا رسول اللَّه ! ثم قال : « **ألا تبايعون رسول اللَّه ؟** » قال : فبسطنا أيدينا وقلنا : قد بايعناك

---

(١) البخاري (حديث ١٤٧٤) ومسلم (حديث ١٠٤٠) .

(٢) « المسند » (١٦/٣) .

(٣) مسلم (حديث ١٠٤٣) .

يا رسول الله ! فعلام نبايعك ؟ قال: « **على أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا . والصلوات الخمس . وتطيعوا (وأسرَّ كلمة خفية) ولا تسألوا الناس شيئًا** » **فلقد رأيت بعض أولئك النفر يسقط سوط أحدهم . فما يسأل أحدًا يناوله إياه.**

● وفي « صحيح مسلم »[*] من حديث قبيصة بن مخارق الهلالي رضي الله عنه قال : تحملت حمالةً[١] . فأتيت رسول الله ﷺ أسأله فيها . فقال: « **أقم حتى تأتينا الصدقة . فنأمر لك بها** » . قال : ثم قال : « **يا قبيصة ! إن المسألة لا تحل إلا لأحد ثلاثة : رجلٌ تحمل حمالةً فحلت له المسألة حتى يصيبها ثم يمسك**[٢] . **ورجلٌ أصابته جائحةٌ اجتاحت ماله**[٣] **فحلت له المسألة حتى يصيب قوامًا من عيشٍ**[٤] **(أو قال : سدادًا من عيشٍ**[٥]**). ورجلٌ أصابته فاقةٌ**[٦] **حتى يقوم ثلاثةٌ من ذوي الحجا من**

(*) الحديث عند مسلم (حديث ١٠٤٤) .

(١) تحملت حمالة : الحمالة هي المال الذي يتحمله الإنسان ، أي : يستدينه ويدفعه في إصلاح ذات البين . كالإصلاح بين قبيلتين ، ونحو ذلك .

(٢) حتى يصيبها ثم يمسك : أي : إلى أن يجد الحمالة ويؤدي ذلك الدين ، ثم يمسك نفسه عن السؤال .

(٣) ورجل أصابته جائحة اجتاحت ماله : قال ابن الأثير : الجائحة هي الآفة التي تهلك الثمار والأموال وتستأصلها ، وكل مصيبة عظيمة . واجتاحت أي : أهلكت .

(٤) قوامًا من عيش : أي : إلى أن يجد ما تقوم به حاجته من معيشة .

(٥) سدادًا من عيش : القوام والسداد ، بمعنى واحد . وهو ما يغني من الشيء وما تسدّ به الحاجة . وكل شيء سددت به شيئًا فهو سداد . ومنه : سداد الثغر ، وسداد القارورة ، وقولهم : سداد من عوز .

(٦) فاقة : أي : فقر وضرورة بعد غنى .

قومه[١] : لقد أصابت فلانًا فاقةٌ . فحلت له المسألة . حتى يصيب قوامًا من عيشٍ (أو قال : سدادًا من عيشٍ) فما سواهن من المسألة ، يا قبيصة! سحتًا يأكلها صاحبها[٢] سحتًا » .

● أما إذا جاءك مالٌ من شخص ، وكان مصدره حلالاً ، وليس برشوة في الدين ، ولم تكن نفسك مشرفة متطلعة لهذا المال فحينئذ يجوز لك أخذه ، بل يستحب لما في « الصحيحين »[٣] من حديث عمر رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ يعطيني العطاء فأقول أعطه من هو أفقر إليه مني ، فقال : « **خذه ، إذا جاءك من هذا المال شيء وأنت غير مُشرف ولا سائل[٤] فخذه ، وما لا فلا تتبعه نفسك** » .

أما إذا كنت تظن أن مصدر المال حرام فلا تقبله حينئذ .

قال الحافظ[٥] ابن حجر رحمه الله : والتحقيق في المسألة أن من علم كون ماله حلالاً فلا ترد عطيته ، ومن علم كون ماله حرامًا فتحرم عطيته ،

---

(١) حتى يقوم ثلاثة من ذوي الحجا من قومه : هكذا هو في جميع النسخ : حتى يقوم ثلاثة ، وهو صحيح . أي : يقومون بهذا الأمر فيقولون : لقد أصابته فاقة . والحجا ، مقصور ، وهو العقل . وإنما قال ﷺ : من قومه ، لأنهم من أهل الخبرة بباطنه . والمال مما يخفى في العادة فلا يعلمه إلا من كان خبيراً بصاحبه .

(٢) سحتًا يأكلها صاحبها : هكذا هو في جميع النسخ : سحتًا . وفيه إضمار . أي : أعتقده سحتًا أو يؤكل سحتًا . والسحت هو الحرام . قال ذلك النووي .

(٣) البخاري (حديث ١٤٧٣) ومسلم (حديث ١٠٤٥) .

(٤) قال شيخ الإسلام « مجموع الفتاوى » (٣٢٨/١٨) : فالسائل بلسانه وهو ضد المتعفف ، والمشرف بقلبه وهو ضد الغنى .

(٥) « الفتح » (٣٩٦/٣) .

ومن شك فيه فالاحتياط رده وهو الورع ، ومن أباحه أخذ بالأصل ، قال ابن المنذر : واحتج من رخص فيه بأن الله تعالى قال في اليهود : ﴿ **سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ** ﴾ [المائدة: ٤٢]. وقد رهن الشارع درعه عند يهودي مع علمه بذلك ، وكذلك أخذ الجزية منهم مع العلم بأن أكثر أموالهم من ثمن الخمر والخنزير والمعاملات الفاسدة .

● وفي « صحيح مسلم » من طريق ابن السعدي المالكي أنه قال : استعملني[٢] عمر بن الخطاب رضي الله عنه على الصدقة فلما فرغت منها وأديتها إليه أمر لي بعُمالة[٣] فقلت : إنما عملت لله وأجري على الله فقال : خُذ ما أُعطيت فإني عملت على عهد رسول الله ﷺ فعمَّلني[٤] فقلت مثل قولك فقال لي رسول الله ﷺ : « **إذا أُعطيت شيئًا من غير أن تسأل فكُل وتصدَّق** » .

وانظر إلى أثر التعفف عما في أيدي الناس وإكرام الله للعفيف ، فهذا عبد الرحمن بن عوف يقدم إلى المدينة فيؤاخي الرسول ﷺ بينه وبين سعد ابن الربيع فيعرض عليه سعد إحدى زوجتيه وأن يُشاطره ماله فيتعفف عبد الرحمن عن هذا فما هي إلا أيام حتى يأتي عبد الرحمن وعليه أثر صفرة وقد تزوج ، ثم بعد ذلك يصبح ابن عوف من كبار الأثرياء .

أخرج البخاري[٥] من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قدم

(١) مسلم (٧٢٢).
(٢) أي : جعلني عاملاً على الصدقة أجمعها لبيت المال .
(٣) أي : أجرة العمل .
(٤) أي : أعطاني عمالتي وأجرة عملي .
(٥) البخاري (حديث ٢٠٤٩) .

عبد الرحمن بن عوف المدينة ، فآخى النبي ﷺ بينه وبين سعد بن الربيع الأنصاري ، وكان سعدٌ ذا غنًى ، فقال لعبد الرحمن : أُقاسمك مالي نصفين وأزوجك . قال : **بارك اللَّه لك في أهلك ومالك ، دلوني على السوق** ، فما رجع حتى استفضل أقطًا وسمنًا ، فأتى به أهل منزله . فمكثنا يسيرًا ـ أو ما شاء الله ـ فجاء وعليه وضرٌ من صفرةٍ فقال : له النبي ﷺ : « **مهيم ؟** » قال: يا رسول الله تزوجت امرأةً من الأنصار . قال : « **ما سقت إليها ؟** » قال : نواة من ذهبٍ ـ أو وزن نواةٍ من ذهبٍ ـ قال : « **أولم ولو بشاة** » .

● وكما أسلفنا فشاء الله أن يكون عبد الرحمن بن عوف من الأثرياء .

فعند ابن أبي عاصم[1] في «السنة» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **خيركم خيركم لأهلي من بعدي** »، قال فباع عبد الرحمن بن عوف حديقة بأربع مائة ألف فقسمها في أزواج النبي ﷺ وإسناده حسن لشواهده ، ومن شواهده ما أخرجه الترمذي[2] من حديث عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : « **إن أمركن مما يهمني من بعدي ولن يصبر عليكن إلا الصابرون** »، قال ثم تقول عائشة (أي : لأبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف إذ هو الراوي عنها) : فسقى الله أباك من سلسبيل الجنة تريد عبد الرحمن بن عوف . وكان قد وصل أزواج النبي ﷺ بمال بيعت بأربعين ألف .

وها هو أيضًا أبو مسعود البدري رضي الله عنه لما نزلت آية الصدقة يذهب إلى الأسواق فيحمل على ظهره ويأتي بالأجور يتصدق بها وما هي إلا

---

(١) ابن أبي عاصم في « السنة » (١٤١٤) .

(٢) الترمذي (حديث (٣٧٤٩) ، وانظر سائر الشواهد في « الصحيح المسند من فضائل الصحابة » (تأليفي) .

مدة يسيرة حتى أصبح أبو مسعود من الأثرياء .

فأخرج البخاري من طريق شقيق بن سلمة[١] قال : كنت جالسًا مع أبي مسعودٍ وأبي موسى وعمارٍ ، فقال أبو مسعودٍ : ما من أصحابك أحدٌ إلا لو شئت لقلتُ فيه غيرك ، وما رأيت منك شيئًا منذ صحبت النبي ﷺ أعيب عندي من استسراعك في هذا الأمر قال عمار : يا أبا مسعود وما رأيت منك ولا من صاحبك هذا شيئًا منذ صحبتما النبي ﷺ أعيب عندي من إبطائكما في هذا الأمر. فقال أبو مسعود ـ وكان موسِرًا ـ : يا غلام هاتِ حُلَّتين ، فأعطى إحداهما أبا موسى والأخرى عمارًا وقال : روحا فيه إلى الجمعة .

• ومن عجيب أمر بعض الناس أنهم يخرجون في أسفارهم بدون زاد ويزعمون أنهم متوكلون على اللَّه ثم هم يسألون الناس ويمدون الأيدي :

• أخرج البخاري[٢] في « صحيحه » من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان أهل اليمن يحجون ولا يتزودون ويقولون : نحن المتوكلون فإذا قدموا مكة سألوا الناس فأنزل الله تعالى : ﴿**وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ**﴾ [البقرة: ١٩٧][٣] .

---

(١) البخاري (حديث ٧١٠٥ ، ٧١٠٦ ، ٧١٠٧) .

(٢) البخاري حديث (١٥٢٣) ، وعقبه بقوله : رواه ابن عيينة عن عكرمة مرسلاً ، لكن قد أشار الحافظ ابن حجر إلى من وصله (انظر فتح الباري ٣/ ٣٨٤) .

(٣) قال فريق من العلم في تفسير قوله تعالى ﴿**وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ**﴾ : أي : تزودوا واتقوا أذى الناس بسؤالكم إياهم والإثم في ذلك .

حقًّا إنهم بشر

والمؤمنون بشرٌ يصدر منهم ما يصدر من البشر.

فأبوهم آدم عليه السلام عصى فعصت ذريته ، وجحد فجحدت ذريته، ونسي فنسيت ذريته !

خلقوا ضعفاء كما قال تعالى : ﴿ وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا ﴾ [النساء: ٢٨].

● فإذا صدر من أحدهم زلة فلا تسقطه تمامًا بهذه الزلة ؛ بل اعرف له فضله ومنزلته ومكانته ، وأعنه على أن يُصلح نفسه ويقيل عثرته !!

● فهاهم أصحاب رسول الله ﷺ خير الناس ! ، وخير أمة أُخرجت للناس ! وخير قرنٍ من القرون ! ومع ذلك صدرت منهم هفواتٌ وزلاتٌ لكن هذه الهفوات والزلات لم تخرجهم من عداد أهل الفضل والصلاح ولم تزحزحهم عن طريق المتقين ، بل هي هفوات مغمورة في بحور فضائلهم ومحيط مناقبهم !

● ها هي أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها لا تعرف أم المؤمنين خديجة ولم ترها ولم تعاشرها ومع ذلك تأخذها الغيرة منها وتحملها هذه الغيرة على أن تتكلم فيها .

● ففي « الصحيحين »[(١)] من حديث عائشة رضي الله عنها قالت : ما غرت على امرأة ما غرت على خديجة ولقد هلكت قبل أن يتزوجني بثلاث سنين لما كنت أسمعه يذكرها .

---

(١) البخاري (٣٨١٧) ومسلم (٢٤٣٥) .

● وتقول أم المؤمنين عائشة[١] : استأذنت هالة بنت خويلد أخت خديجة على رسول الله ﷺ فعرف استئذان خديجة فارتاع لذلك فقال : **«اللهم هالة»** ، قالت فغرتُ فقلت : ما تذكر من عجوز من عجائز قريش حمراء الشدقين هلكت في الدهر قد أبدلك الله خيرًا منها .

فانظر إلى وصفها لأم المؤمنين خديجة بقولها: عجوز من عجائز قريش!

وانظر كذلك إلى قولها : حمراء الشدقين أي : عجوز كبيرة جدًّا حتى إن أسنانها قد سقطت من الكبر ، ولم يبق لشدقيها بياض شيء من الأسنان إنما بقي فيهما حُمرة لثاتها .

● وها هي أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في نفسها من أمير المؤمنين عليٍّ رضي الله عنه شيء[٢] ، فلما ذكرت وفاة رسول الله ﷺ ومرض موته قال : فخرج النبي ﷺ يُهادي بين رجلين بين عباس ورجلٍ آخر!!

---

(١) أخرجه مسلم (٢٤٣٧) .

(٢) ظني - والله أعلم - أن هذا الشيء منذ حديث الإفك ، فأم المؤمنين عائشة كانت تتوقع من عليٍّ رضي الله عنه دفاعًا قويًّا عنها أمام أهل الإفك ، ودفاعًا قويًّا عنها لما استشار رسول الله ﷺ ، فصدر من أمير المؤمنين عليٍّ رضي الله عنه أقل من الذي تتوقعه عائشة مع عشمها الزائد فيه فتأثرت رضي الله عنها ممن تتوقع منه مزيد دفاع ، يوضح ذلك ما ورد في حديث الإفك (كما عند البخاري ٤١٤١) .

وفيه قالت (أي : عائشة) : ودعا رسول الله ﷺ عليَّ بن أبي طالب وأسامة بن زيد حين استلبث الوحي يسألهما ويستشيرهما في فراق أهله قالت : فأما أسامة فأشار على النبي ﷺ بالذي يعلم من براءة أهله وبالذي يعلم لهم في نفسه ؛ فقال أسامة : أهلك ولا نعلم إلا خيرًا، وأما عليٌّ فقال : يا رسول الله ﷺ لم يُضيِّق الله عليك والنساء سواها كثير وسل الجارية تصدقك .

فسبحان الله كيف أضربت عن ذكر عليٍّ ! وهي تعرف عليًّا رضي الله عنه تمام المعرفة حتى قال ابن عباس للتابعي : هل تدري من الرجل الآخر الذي لم تسم عائشة ؟ إنه عليٌّ ![1]

● وها هي أم المؤمنين عائشة أيضًا لا تريد أن يتشاءم الناس بأبيها بعد رسول الله ﷺ فتعلل امتناعها من إبلاغ أبي بكر بالصلاة بالناس لما قال رسول الله ﷺ : « **مُروا أبا بكر فليصل بالناس** »[2] تتعلل بقولها: إن أبا بكر رجل أسيف إذا قام مقامك لم يُسمع الناس من البكاء .

وهي في الحقيقة كما أشارت[3] أرادت أن لا يتشاءم الناس بأبي بكر بعد رسول الله ﷺ .

● وها هو سعد بن عبادة رضي الله عنه مع فضله وكرمه وصلاحه تحتمله الحمية في حديث الإفك[4] فيقول قولاً غير لائقٍ به وبفضله وبمنزلته

(١) أخرجه البخاري (حديث ٤٤٤٢) ومسلم (حديث ٤١٨) من حديث عائشة رضي الله عنها قالت : لما ثقل رسول الله ، واشتد به وجعه استأذن أزواجه أن يُمرَّض في بيتي فأذن له، فخرج وهو بين الرجلين تخط رجلاه في الأرض بين عباس بن عبد المطلب وبين رجل آخر ، قال عبيد الله (رواي الحديث عن عائشة رضي الله عنها) فأخبرت عبد الله بالذي قالت عائشة ، فقال لي عبد الله بن عباس : هل تدري من الرجل الآخر الذي لم تُسم عائشة ؟ قال قلت : لا ، قال ابن عباس : هو عليٌّ .

(٢) البخاري (حديث ٦٧٨) ومسلم (حديث ٤٢٠) .

(٣) في « صحيح مسلم » (ص٣١٣) من حديث عائشة رضي الله عنها قالت : لقد راجعت رسول الله ﷺ في ذلك. **وما حملني على كثرة مراجعته إلا أنه لم يقع في قلبي أن يحب الناس بعده رجلاً قام مقامه أبدًا . وإلا أني كنت أرى أنه لن يقوم مقامه أحدٌ إلا تشاءم الناس به . فأردت أن يعدل ذلك رسول اللّه ﷺ عن أبي بكر .**

(٤) البخاري (حديث ٤١٤١) ومسلم (١٧/ ١٠٢) مع النووي .

ففي حديث الإفك قالت عائشة رضي الله عنه : فقام رسول الله ﷺ من يومه فاستعذر من عبد الله بن أُبَيٍّ ـ وهو على المنبر ـ فقال : « **يا معشر المسلمين من يعذرني من رجلٍ قد بلغني عنه أذاه في أهلي ، والله ما علمت على أهلي إلا خيرًا . ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيرًا ، وما يدخل على أهلي إلا معي** » . قالت : فقام سعد بن معاذٍ ـ أخو بني عبد الأشهل ـ فقال : أنا يا رسول الله أعذرك ، فإن كان من الأوس ضربت عنقه ، وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك . قالت : فقام رجلٌ من الخزرج ـ وكانت أم حسان بنت عمه من فخذه وهو سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج . قالت : **وكان قبل ذلك رجلاً صالحًا ، ولكن احتملته الحمية** ـ فقال لسعد : كذبت لعمر الله ، لا تقتله ولا تقدر على قتله ، ولو كان من رهطك ما أحببت أن يقتل .

● وأخرج البخاري[1] من حديث جابر رضي الله عنه قال : سمعت النبي ﷺ يقول : « **اهتز العرش لموت سعد بن معاذ** » فقال رجلٌ لجابر : فإن البراء يقول : اهتز السرير ، فقال : إنه كان بين هذين الحيين ضغائن سمعت النبي ﷺ يقول : « **اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ** » .

● فانظر كيف تسرب إلى البراء القول بأن الذي اهتز هو السرير وليس العرش ، وذلك للضغائن التي كانت بين الحيين الأوس والخزرج !!

فأراد الخزرجيون صرف الفضيلة عن سيد الأوس وقالوا : إن الذي اهتز هو السريـــر ليس العرش ، وتســرب هذا القول إلى البراء فحكاه رجــلٌ عنه ؟!! فقام جابر رضي الله عنه بالدفاع عن فضل سعد بن معاذ مع

(١) البخاري (حديث ٣٨٠٣) وأخرجه مسلم مختصرًا (حديث ٢٤٦٦) .

أن جابر رضي الله عنه خزرجي وقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ** » !!

● وانظر إلى هذه الرواية التي يرويها المقداد عن نفسه وتأملها فقد رواها مسلم[١] عن المقداد قال: أقبلت أنا وصاحبان لي. وقد ذهبت أسماعنا وأبصارنا من الجهد[٢] . فجعلنا نعرض أنفسنا على أصحاب رسول الله ﷺ. فليس أحدٌ منهم يقبلنا[٣] . فأتينا النبي ﷺ فانطلق بنا إلى أهله . فإذا ثلاثة أعنزٍ . فقال النبي ﷺ: « **احتلبوا هذا اللبن بيننا** » قال : فكنا نحتلب فيشرب كل إنسانٍ منا نصيبه . ونرفع للنبي ﷺ نصيبه . قال : فيجيء من الليل فيسلم تسليمًا لا يوقظ نائمًا . ويسمع اليقظان . قال : ثم يأتي المسجد فيصلي . ثم يأتي شرابه فيشرب . فأتاني الشيطان ذات ليلةٍ ، وقد شربت نصيبي. فقال: محمد يأتي الأنصار فيتحفونه ، ويصيب عندهم. ما به حاجةٌ إلى هذه الجرعة[٤] . فأتيتها فشربتها . فلما أن وغلت في بطني[٥] ، وعلمت أنه ليس إليها سبيلٌ . قال ندمني الشيطان . فقال : ويحك ! ما صنعت ؟ أشربت شراب محمدٍ ؟ فيجيء فلا يجده فيدعو عليك فتهلك . فتذهب دنياك وآخرتك . وعليَّ شملةٌ . إذا وضعتها على قدمي خرج رأسي ، وإذا

(١) مسلم (حديث ٢٠٥٥) .

(٢) الجهد بفتح الجيم ، هو الجوع والمشقة .

(٣) فليس أحد منهم يقبلنا : هذا محمول على أن الذين عرضوا أنفسهم عليهم كانوا مقلين ليس عندهم شيء يواسون به .

(٤) ما به حاجة إلى هذه الجرعة : هي بضم الجيم وفتحها ، حكاهما ابن السكيت وغيره . والفعل منه جَرِعتُ .

(٥) وغلت في بطني : أي : دخلت وتمكنت منه .

وضعتها على رأسي خرج قدماي . وجعل لا يجيئني النوم . وأما صاحباي فناما ولم يصنعا ما صنعت . قال فجاء النبي ﷺ فسلم كما كان يسلم . ثم أتى المسجد فصلى . ثم أتى شرابه فكشف عنه فلم يجد فيه شيئًا . فرفع رأسه إلى السماء . فقلت : الآن يدعو علي فأهلك . فقال : « **اللهم ! أطعم من أطعمني . وأسق من أسقاني** » قال : فعمدت إلى الشملة فشددتها عليَّ . وأخذت الشفرة فانطلقت إلى الأعنز أيها أسمن فأذبحها لرسول الله ﷺ . فإذا هي حافلة[(١)] . وإذا هن حفلٌ كلهن . فعمدت إلى إناء لآل محمد ﷺ ما كانوا يطمعون أن يحتلبوا فيه . قال : فحلبت فيه حتى علته رغوة[(٢)] . فجئت إلى رسول الله ﷺ فقال : « **أشربتم شرابكم الليلة ؟** » قال قلت : يا رسول الله ! اشرب . فشرب ثم ناولني . فقلت : يا رسول الله ! اشرب . فشرب ثم ناولني . فلما عرفت[(٣)] أن النبي ﷺ قد روي ، وأصبت

---

(١) حافلة : الحفل في الأصل الاجتماع . قال في « القاموس » : الحفل والحفول والحفيل الاجتماع . يقال : حفل الماء واللبن حفلاً وحفولاً وحفيلاً ، إذا اجتمع . وكذلك يقال : حفله إذا جمعه . ويقال للضرع المملوء باللبن : ضرع حافل وجمعه حُفَّل . ويطلق على الحيوان كثير اللبن ، حافلة ، بالتأنيث .

(٢) رغوة : هي زبد اللبن الذي يعلوه . وهي بفتح الراء وضمها وكسرها ، ثلاث لغات مشهورات . ورغاوة بكسر الراء وحكي ضمها . ورغاية بالضم ، وحكي الكسر . وارتغيت شربت الرغوة .

(٣) فلما عرفت. . . إلخ : معناه أنه كان عنده حزن شديد خوفًا من أن يدعو عليه النبي ﷺ، لكونه أذهب نصيب النبي ﷺ وتعرض لأذاه . فلما علم أن النبي ﷺ قد روي وأجيبت دعوته فرح وضحك حتى سقط إلى الأرض من كثرة ضحكه ، لذهاب ما كان به من الحزن، وانقلابه مسرورًا بشرب النبي ﷺ وإجابة دعوته لمن أطعمه وسقاه ، وجريان ذلك على يد المقداد ، وظهور هذه المعجزة .

دعوته ، ضحكت حتى ألقيت إلى الأرض . قال فقال النبي ﷺ : « **إحدى سوآتك**[١] **يا مقداد** » فقلت : يا رسول الله ! كان من أمري كذا وكذا . وفعلت كذا . فقال النبي ﷺ : « **ما هذه إلا رحمةٌ من اللَّه**[٢] **أفلا كنت آذنتني، فنوقظ صاحبينا فيصيبان منها** » قال فقلت : والذي بعثك بالحق ! ما أبالي إذا أصبتَها وأصبتُها معك ، من أصابها من الناس .

● **كان بعضهم يحب المال ويجتمع له .**

قال الله تعالى في أصحاب نبيه ﷺ الذي شهدوا أُحدًا : ﴿**مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الآخِرَةَ**﴾ [آل عمران: ١٥٢].

وأخرج البخاري[٣] ومسلم رحمهما الله من حديث عمرو بن عوف أن رسول الله ﷺ بعث أبا عبيدة بن الجراح إلى البحرين . يأتي بجزيتها . وكان رسول الله ﷺ هو صالح أهل البحرين ، وأمر عليهم العلاء بن الحضرمي . **فقدم أبو عبيدة بمالٍ من البحرين . فسمعت الأنصار بقدوم أبي عبيدة . فوافوا صلاة الفجر مع رسول اللَّه** ﷺ . فلما صلى رسول الله ﷺ انصرف . فتعرضوا له . فتبسم رسول الله ﷺ حين رآهم. ثم قال: « **أظنكم سمعتم أن أبا عبيدة قدم بشيء من البحرين؟** » فقالوا : أجل. يا رسول الله ! قال : « **فأبشروا وأملوا ما يسرّكم . فواللَّه ! ما الفقر أخشى عليكم . ولكني أخشى عليكم أن تبسط الدنيا عليكم كما بسطت على من كان قبلكم .**

---

(١) إحدى سوءاتك : أي : أنك فعلت سوأة من الفعلات فما هي .

(٢) ما هذه إلا رحمة من الله : أي : إحداث هذا اللبن في غير وقته وخلاف عادته ، وإن كان الجميع من فضل الله . قاله النووي نقلاً عن عبد الباقي .

(٣) البخاري (حديث ٤٠١٥) ومسلم (حديث ٢٩٦١) .

فتنافسوها كما تنافسوها . وتهلككم كما أهلكتهم » .

وانظر إلى هذه الواقعة وتبيَّن ما فيها :

أخرج الإمام أحمد[١] بإسناد صحيح من حديث بريدة رضي الله عنه أنه مر على مجلس وهم يتناولون من علي فوقف عليهم فقال : إنه قد كان في نفسي على عليٍّ شيء وكان خالد بن الوليد كذلك فبعثني رسول الله ﷺ في سرية عليها عليّ وأصبنا سبيًا قال : فأخذ عليّ جارية من الخمس لنفسه فقال خالد بن الوليد : دونك قال : فلما قدمنا على النبيّ ﷺ جعلت أحدثه بما كان ثم قلت : إن عليًّا أخذ جارية من الخمس قال : وكنت رجلاً مكبابًا قال: فرفعت رأسي فإذا وجه رسول الله ﷺ قد تغير فقال : « **من كنت وليه فعليٌّ وليه** » .

بل وقد فرَّ منهم قوم من القتال ، بل ومن فضلائهم ، ولكن اللَّه قد عفا عنهم :

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ** ﴾ [آل عمران: ١٥٥].

أخرج البخاري[٢] من طريق عثمان بن موهب قال : جاء رجل من أهل مصر وحج البيت فرأى قومًا جلوسًا فقال : من هؤلاء القوم ؟ فقالوا : هؤلاء قريش ، قال : فمن الشيخ فيهم ؟ قالوا : عبد الله بن عمر ، قال :

---

(١) أحمد في « المسند » (٥/٣٥٨) وانظر مزيداً من تخريجه في كتابنا « الصحيح المسند من فضائل الصحابة » .

(٢) البخاري (حديث ٣٦٩٨) .

يا ابن عمر إني سائلك عن شيء فحدثني عنه . هل تعلم أن عثمان فر يوم أحد ؟ قال : نعم . فقال : تعلم أنه تغيب يوم بدر ولم يشهد ؟ قال : نعم، قال الرجل : هل تعلم أنه تغيب عن بيعة الرضوان فلم يشهدها؟ قال : نعم. قال : الله أكبر ، قال ابن عمر : تعال أبين لك . أما فراره يوم أحدٍ فأشهد أن الله عفا عنه وغفر له ، وأما تغيبه عن بدرٍ فإنه كانت تحته بنت رسول الله ﷺ وكانت مريضة فقال له رسول الله ﷺ : « **إن لك أجر رجلٍ ممن شهد بدراً وسهمه** »، وأما تغيبه عن بيعة الرضوان فلو كان أحدٌ أعز ببطن مكة من عثمان لبعثه مكانه بعث رسول الله ﷺ عثمان ، وكانت بيعة الرضوان بعد ما ذهب عثمان إلى مكة فقال رسول الله ﷺ: «**هذه يد عثمان**» فضرب بها على يده فقال : « **هذه لعثمان** » فقال له ابن عمر : اذهب بها الآن معك .

- **وقد أقيمت الحدود على عدد منهم قطعت أيدي أُناسٍ وجُلدَ أُناس ورُجم آخرون .**
- **بل وبعضهم قد وقع في يمين كذب من أجل عرض من أعراض الحياة الدنيا الفانية .**

ففي تفسير قوله تعالى : ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُم مُّصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْبِسُونَهُمَا مِن بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذًا لَّمِنَ الْآثِمِينَ ﴿١٠٦﴾ فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلَيَانِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِن شَهَادَتِهِمَا وَمَا اعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ**﴾ [المائدة: ١٠٦، ١٠٧]. جاء في تفسيرها وفي سبب نزولها ما يلي :

قال الإمام البخاري رحمه الله[١] : وقال لي عليُّ بن عبد الله : حدثنا يحيى بن آدم حدثنا ابن أبي زائدة عن محمد بن أبي القاسم عن عبد الملك ابن سعيد بن جبيرٍ عن أبيه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : خرج رجلٌ من بني سهمٍ مع تميمٍ الداري وعدي بن بدَّاءٍ . فمات السهمي بأرض ليس بها مسلمٌ ، فلما قدما بتركته فقدوا جامًا من فضةٍ مخوَّصًا من ذهب ، فأحلفهما رسول الله ﷺ ، ثم وُجدَ الجامُ بمكة فقالوا : ابتعناه من تميمٍ وعدي ، فقام رجلان من أولياء السهميّ فحلفا : لشهادتنا أحق من شهادتهما وإن الجام لصاحبهم ، قال وفيهم نزلت هذه الآية : ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ**﴾ [المائدة : ١٠٦] .

وهؤلاء أيضًا أهل فضل وخير وصلاح صدرت منهم أمور

● فأبو ذر رضي الله عنه الذي قال عنه رسول الله ﷺ[٢] : « **ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء من ذي لهجة أصدق من أبي ذر** » .

أبو ذر يسبُّ رجلاً فيعيره بأمه فيقول له الرسول ﷺ : « **إنك امرؤ فيك جاهلية**»، فيقول أبو ذر: على حين ساعتي هذه من كبر السن؟ قال: «**نعم**»!!

وها هو الحديث بذلك ، أخرجه البخاري ومسلم[٣] عن حديث أبي ذر رضي الله عنه قال : كان بيني وبين رجل كلام ، وكانت أمه أعجمية ، فنلت منها فذكرني إلى النبي ﷺ فقال لي: « **أسابيت فلانًا** » ، قلت : نعم ، قال:

---

(١) البخاري (حديث ٢٧٨٠) وأبو داود (٣٦٠٦) والترمذي (٣٠٦٠) .

(٢) أخرجه أحمد في « المسند » (٦/٤٤٢) **بإسناد صحيح لغيره** . وانظر « المنتخب لعبد بن حميد » (بتحقيقي حديث ٢٠٩) .

(٣) البخاري (حديث ٦٠٥٠) ومسلم (١٦٦١) .

« **أفنلت من أمه ؟** » قلت : نعم ، قال : « **إنك امرؤ فيك جاهلية** » ، قلت : على حين ساعتي هذه من كبر السن ؟ قال : « **نعم** » .

● **وأبو بكر الصديق رضي اللَّه عنه** ، أفضل هذه الأمة وخير هذه الأمة بعد نبيها ﷺ ، يغاضب الأضياف ويقول لهم : كُلوا لا هنيئًا ، ويسبُّ ولده وينال منه غاية النيل لتقصيره في حق الأضياف .

أخرج البخاري ومسلم[1] من حديث عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما : أن أصحاب الصفة كانوا ناسًا فقراء . وإن رسول الله ﷺ قال مرةً : « **من كان عنده طعام اثنين ، فليذهب بثلاثةٍ . ومن كان عنده طعامُ أربعة ، فليذهب بخامسٍ ، بسادسٍ** » . أو كما قال . وإن أبا بكرٍ جاء بثلاثةٍ . وانطلق نبي الله ﷺ بعشرةٍ . وأبو بكرٍ بثلاثةٍ . قال : فهو وأنا وأبي وأمي ـ ولا أدري هل قال : وامرأتي وخادمٌ بين بيتنا وبيت أبي بكرٍ ـ قال : وإن أبا بكرٍ تعشى عند النبي ﷺ . ثم لبث حتى صليت العشاء . ثم رجع فلبث حتى نعس رسول الله ﷺ . فجاء بعد ما مضى من الليل ما شاء الله . قالت له امرأته : ما حبسك عن أضيافك ، أو قالت : ضيفك ؟ قال : أو ما عشيتهم؟ قالت : أبوا حتى تجيء . قد عرضوا عليهم فغلبوهم . قال فذهبت أنا فاختبأت . وقال : يا غنثر ! فجدع وسب . وقال : كلوا . لا هنيئًا . وقال : والله! لا أطعمه أبدًا . قال: فايم الله ! ما كنا نأخذ من لقمةٍ إلا ربا من أسفلها أكثر منها . قال : حتى شبعنا وصارت أكثر مما كانت قبل ذلك. فنظر إليها أبو بكرٍ فإذا هي كما هي أو أكثر . قال لامرأته : يا أخت بني فراسٍ ! ما هذا ؟ قالت : لا . وقرة عيني ! لهي الآن أكثر منها قبل

(١) البخاري (٦١٤٠ ، ٦١٤١) ومسلم (حديث ٢٠٥٧) .

ذلك بثلاث مرارٍ . قال : فأكل منها أبو بكرٍ وقال : إنما كان ذلك من الشيطان . يعني يمينه . ثم أكل منها لقمةً . ثم حملها إلى رسول الله ﷺ فأصبحت عنده . قال : وكان بيننا وبين قومٍ عقدٌ فمضى الأجل . فعرفنا اثنا عشر رجلاً . مع كل رجلٍ منهم أناسٌ . الله أعلم كم مع كل رجلٍ . إلا أنه بعث معهم فأكلوا منها أجمعون . أو كما قال .

● **وأبونا آدم عليه الصلاة والسلام** ، ومعه زوجته أمنا حواء عليها الصلاة والسلام يخدعهما إبليس بالأماني الكاذبة ، ويقول له : ﴿**يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لاَّ يَبْلَىٰ**﴾ [طه: ١٢٠].

فيطمع آدم عليه السلام في الخلود ، ثم يقسم له إبليس على صحة كذبه ومُدَّعاه كما قال تعالى : ﴿**وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ**﴾ [الأعراف: ٢١]

فيُقدم آدم وزوجه على الأكل من الشجرة كما قال تعالى : ﴿**فَأَكَلا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ**﴾ [طه: ١٢١].

وكما قال سبحانه : ﴿**فَدَلاَّهُمَا بِغُرُورٍ**﴾ [الأعراف: ٢٢].

فهكذا فعل آدم وزوجه عليهما السلام طمعًا في الخلود في الدنيا !!!

وذريتهما كذلك ، قال النبي ﷺ : « **يكبر ابن آدم ويكبر معه اثنتان : حب المال وطول العمر** »[1] .

● وفي « الصحيحين » من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال :

---

(١) البخاري (حديث ٦٤٢١) ومسلم (حديث ١٠٤٧) .

سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **لا يزال قلب الكبير شابًّا في اثنتين في حب الدنيا وطول الأمل** »[1] .

• **ونوحٌ ﷺ تأخذه الشفقة على ولده** ، إذ هو والد قال تعالى : ﴿ **وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ** ﴾ [هود: ٤٥] فيقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ **يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ** ﴾ [هود: ٤٦].

• **وإبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام** ، يقول فيه الله سبحانه : ﴿ **فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَىٰ يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ** ﴾ [هود: ٧٤]

• **ويوسف ﷺ يقول للسجين :** ﴿ **اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ** ﴾ [يوسف: ٤٢].

وإخوته قبل ذلك يقولون : ﴿ **لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ** ﴾ [يوسف: ٨].

• **وموسى الكليم عليه الصلاة والسلام** ﴿ **وَأَلْقَى الأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ** ﴾ [الأعراف: ١٥٠].

ومع أن الخضر قال له : ﴿ **فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا** ﴾ [الكهف: ٧٠]، ووعده موسى بذلك بقوله : ﴿ **سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا** ﴾ [الكهف: ٦٩] ، ومع ذلك يقول :

---

(١) البخاري (حديث ٦٤٢٠) ومسلم (حديث ١٠٤٦) .

﴿أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾ [الكهف: ٧١] فيأخذها عليه الخضر ويذكره بقوله: ﴿أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٧٢] فيقول: ﴿لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾ [الكهف: ٧٣] ثم يقع في نفسه ما وقع فيه ويقول للخضر: ﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا﴾ [الكهف: ٧٤] فيقول الخضر مُذكرًا للمرة الثانية، ومشتدًّا في التذكير ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٧٥].

فيقول موسى: ﴿إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا﴾ [الكهف: ٧٦]، ثم يسأل موسى أيضًا بعد ذلك ويتعقب بقوله: ﴿لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ [الكهف: ٧٧].

● **بل ونبينا محمد صلوات ربي وسلامه عليه** سيد الناس يوم القيامة[(١)] وأول شافع وأول مشفع[(٢)]، وأول من يدخل الجنة عليه الصلاة والسلام[(٣)]، وصاحب المقام المحمود[(٤)]، والحوض

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٣٣٤٠) ومسلم (حديث ١٩٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

(٢) أخرج مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع، وأول مشفع» (حديث ٢٢٧٨).

(٣) أخرج مسلم (حديث ١٩٧) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «آتي باب الجنة يوم القيامة فأستفتح فيقول الخازن من أنت؟ فأقول محمد، فيقول بك أُمرت لا أفتح لأحد قبلك».

(٤) قال الله سبحانه وتعالى: ﴿عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩].
وأخرج البخاري (٤٧١٨) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: إن الناس يصيرون =

المورود[٥] يقول الله سبحانه وتعالى في شأنه : ﴿ **قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ** ﴾ [الكهف: ١١٠].

• ويقول هو عن نفسه عليه الصلاة والسلام : « **إنما أنا بشر أرضى كما يرضى البشر وأغضب كما يغضب البشر** »[١] .

• ﴿ **عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ ۝ أَن جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ** ﴾ [عبس: ١، ٢].

• **فحقًّا إن الجميع بشرٌ** يعتريهم ما يعتري البشر ؛ فإذا كان أهل الفضل والصلاح أولوا العزم من الرسل وسائر الأنبياء، ثم أهل العلم والفضل

= يوم القيامة جثًا كل أمة تتبع نبيها يقولون : يا فلان اشفع ، حتى تنتهى الشفاعة إلى النبي ﷺ فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود .

(١) أخرج مسلم (٢٦٠٣) من حديث أنس رضي الله عنه قال : كان عند أم سليم يتيمةٌ. وهي أم أنس . فرأى رسول الله ﷺ اليتيمة . فقال : «آنت هيه ؟ لقد كبرت ، لا كبر سنك» فرجعت اليتيمة إلى أم سليم تبكي . فقالت أم سليمٍ : مالك ؟ يا بنية ! قالت الجارية : دعا علي نبي الله ﷺ أن لا يكبر سني . فالآن لا يكبر سني أبدًا . أو قالت: قرني[١] . فخرجت أم سليمٍ مستعجلةً تلوث خمارها[٢] . حتى لقيت رسول الله ﷺ . فقال لها رسول الله ﷺ : « مالك ؟ يا أم سليمٍ ! » فقالت : يا نبي الله ! أدعوت على يتيمتي ؟ قـــال : « وما ذاك ؟ يا أم سليمٍ !» قالت : زعمت أنك دعوت أن لا يكبر سنها ولا يكبر قرنها . قال : فضحك رسول الله ﷺ . ثم قال : « يا أم سليمٍ ! أما تعلمين أن شرطي على ربي ، أني اشترطت على ربي فقلت : **إنما أنا بشرٌ . أرضى كما يرضى البشر . وأغضب كما يغضب البشر** . فأيما أحدٍ دعوت عليه ، من أمتي ، بدعوةٍ ليس لها بأهلٍ ، أن تجعلها له طهورًا وزكاةً وقربةً يقربه بها منه يوم القيامة ».

---

(١) قرني : قال القاضي : السن والقرن واحد . يقال : سنه وقرنه ، مماثله في العمر . فكأنه قال لها : لا طال عمرك لأنه إذا طال عمرها طال عمر أصل قرنها .

(٢) تلوث خمارها : أي : تديره على رأسها .

والصلحاء يعتريهم ما يعتري البشر ، فغيرهم من أهل الإيمان من باب أولى، ثم غيرهم من عموم الناس من باب أولى وأولى .

- فالناس يحبون من أحسن إليهم ، ويكرهون من يسيء إليهم !
- يحبون من يسترهم ! ، ويكرهون من يفضحهم !
- يحبون المشفق الحنون عليهم ، ويكرهون الجلف الجافي الغليظ !
- يحبون من يتمنى لهم الخير ، ويكرهون من يتمنى لهم الشر !
- يحبون من يدعو لهم ، ويكرهون من يحسدهم !!
- يحبون المتواضع لهم ، ويكرهون المتعالي المستكبر عليهم !!
- يحبون من وصلهم وواساهم ، ويكرهون من قطعهم وعاداهم !!
- يحبون من يهدي لهم ويُسلم عليهم ، ويكرهون ويبغضون من يسرقهم ويجفوهم !!
- يحبون من يثني عليهم ، ويكرهون من يذمُّهم!!.
- يحبون من يذكرهم بما فيهم من خيرٍ وصلاحٍ ، وبما في آبائهم من ذلك الخير والصلاح !!

ويكرهون من يتتبع عوراتهم ويهتك سترهم !!

- فعلى الشخص أن يتعامل مع الناس على ما تقتضيه بشريتهم فلهم طاقات وقدرات، ولهم مشاعر وأحاسيس ويحتاجون إلى جبر الخاطر ، ويحتاجون إلى دفع الشكوك عنهم وتطييب نفوسهم ، وإقالة عثراتهم ، وستر عوراتهم .

فعليك برحمة العباد وعليك بالستر عليهم ، وعليك بإقالة عثراتهم ، وعليك بإنزالهم منازلهم .

جبر الخواطر وتطييبها

وجبر خواطر الناس التي كُسرت باب طيب من أبواب المواساة وتخفيف المصائب عن العباد ، وله أدلته من كتاب الله ومن سنة رسوله ﷺ، ومن الأدلة عليه ما يلي :

● قول الله تبارك وتعالى : ﴿ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُوا الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَّعْرُوفًا ﴾ [النساء: ٨].

وذلك عند قسمة الميرات إذا حضر القسمة الأقارب والفقراء والمساكين الذين لا حظ لهم في الميراث ولا مال لهم فطيِّب خاطرهم بجزء من المال أو جزء من التركة تعطيهم إياه يبارك الله لك ويعوضك الله خيرًا ﴿ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ [سبأ: ٣٩].

فيا ليت الناس ينتبهون عند تقسيم الميراث لمثل هذا الأدب الكريم .

● ومن باب جبر الخاطر أيضًا قوله تعالى : ﴿ وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة: ٢٤١].

فخاطر المطلقة مكسور لكونها طُلِّقت ، فعوِّض هذا الكسر بشيء من المال تخفيفًا عن أحزانها .

وذكر بعض أهل العلم أن خاطر إبراهيم ﷺ قد جُبر ، لما أصابه ما أصابه من قلة المؤمنين به ، ومن قذفه في النار إلى غير ذلك ـ جُبر خاطره بأن جعل الله كلمة التوحيد في عقبه وجعل الرسل من بعده من ذريته كما قال تعالى : ﴿ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [الزخرف: ٢٨] .

● وكذلك جبر خاطر يوسف ﷺ لما ألقى في غيابات الجب ، ألقاه إخوته ، ثم دخل السجن بعد اتهامه وهو بريء ، جبر خاطره مع من تسببت في سجنه فقالت : ﴿**الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ (٥١) ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ**﴾ [يوسف: ٥١، ٥٢].

وكذلك جبر خاطره مع إخوته الذين ألقوه في البئر لما جاءوا ذليلين منكسرين قائلين : ﴿**يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُّزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ**﴾ [يوسف: ٨٨].

● **ومن جبران الخاطر أيضًا** ما أخرجه أحمد والترمذي[(١)] من حديث بريدة رضي الله عنه بإسناد صحيح أن أمةً سوداء أتت رسول الله ﷺ ورجع من بعض مغازيه فقالت : إني نذرت إن ردك الله صالحًا أن أضرب عندك بالدف فقال : « **إن كنت فعلت فافعلي ، وإن كنت لم تفعلي فلا تفعلي** »، فضربت . . الحديث .

نماذج أُخر من تطييب الخواطر

وإذا أردت أن تعطي أحدًا شيئًا أو تمنع آخر من شيء فكلِّل ذلك بالكلمات الطيبة ، وليكن منعك أو عطاؤك مصحوبًا بالخلق الحسن والثناء الجميل .

● فالله عز وجل يقول في كتابه : ﴿**وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ**

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٣٥٣ ، ٣٥٦) والترمذي (٣٦٩٠) وقال : هذا حديث حسن صحيح غريب من حديث بريدة .

وَابْنَ السَّبِيلِ وَلاَ تُبَذِّرْ تَبْذِيراً ﴿٢٦﴾ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُوراً ﴿٢٧﴾ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلاً مَّيْسُوراً﴾ [الإسراء: ٢٦ - ٢٨].

● وانظر إلى الكلمات الطيبة والثناء العطر وجبر الخاطر في حديث رسول الله ﷺ لأصحابه الثلاثة الكرام لما قضى بينهم في شأن ابنة حمزة ، كما في « صحيح البخاري »[1] من حديث البراء رضي الله عنه قال : لما اعتمر النبي ﷺ في ذي القعدة .. فذكر الحديث وفيه فخرج النبي ﷺ فتبعته ابنة حمزة تنادي يا عمِّ يا عمِّ ، فتناولها عليٌّ فأخذ بيدها وقال لفاطمة : دونك ابنة عمك حمِّليها ، فاختصم فيها عليٌّ وزيدٌ وجعفر ، قال عليٌّ : أنا أخذتها وهي بنت عمي !

وقال جعفر : ابنة عمي وخالتها تحتي !

وقال زيدٌ : ابنة أخي !

فقضى بها النبي ﷺ لخالتها وقال : « **الخالة بمنزلة الأم** » .

وقال لعلي : « **أنت مني وأنا منك** » !!

وقال لجعفر : « **أشبَهْتَ خَلْقي وخُلُقي** » !!

وقال لزيد : « **أنت أخونا ومولانا** » !!

---

(١) البخاري (حديث ٤٢٥١) .

فانظر إلى تطييب الخاطر ، « **أنت مني وأنا منك** » !

« **أشبهت خلقي وخُلُقي** » !

« **أنت أخونا ومولانا** » !

● ويأتي الخصمان يختصمان إلى رسول الله ﷺ في قضية ذات أهمية، فبين يدي الحكم يطمئنهما ﷺ بقوله : « **والذي نفسي بيده لأقضين بينكما بكتاب الله جل ذكره** »[1] !! وهذا حتى تطمئن قلوبهما ويعلما أن الحكم إنما

---

(١) البخاري (حديث ٦٨٢٨) ومسلم (حديث ١٦٩٧ ، ١٦٩٨) من حديث أبي هريرة وزيد بن خالد الجهني رضي الله عنهما أنهما قالا : إن رجلاً من الأعراب أتى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله أنشدك الله إلا قضيت لي بكتاب الله[1] . فقال الخصم الآخر . وهو أفقه منه[2] : نعم . فاقض بيننا بكتاب الله . وائذن لي . فقال رسول الله ﷺ : « قل » قال: إن ابني كان عسيفًا[3] على هذا[4] فزنى بامرأته . وإني أخبرت أن على ابني الرجم . فافتديت[5] منه بمائة شاةٍ ووليدةٍ . فسألت أهل العلم فأخبروني ؛ أنما على ابني جلد مائةٍ =

---

(١) أنشدك الله إلا قضيت لي بكتاب الله : معنى أنشدك أسالك رافعًا نشيدي ، وهو صوتي . وقوله : بكتاب الله أي : بما تضمنه كتاب الله .

(٢) وهو أفقه منه : قال العلماء : يجوز أنه أراد أنه بالإضافة أكثر فقهًا منه . ويحتمل أن المراد أفقه منه في القضية لوصفه إياها على وجهها . ويحتمل أنه لأدبه واستئذانه في الكلام وحذره من الوقوع في النهي في قوله تعالى : ﴿ لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ [الحجرات: ١] . بخلاف خطاب الأول في قوله : أنشدك الله . فإنه من جفاء الأعراب .

(٣) عسيفًا : العسيف هو الأجير . وجمعه عسفاء كأجير وأجراء ، وفقيه وفقهاء .

(٤) على هذا : يشير إلى خصمه ، وهو زوج مزنية ابنه . وكان الرجل استخدمه فيما تحتاج إليه امرأته من الأمور . فكان ذلك سببًا لما وقع له معها .

(٥) فافتديت : أي : أنقذت ابني منه بفداء مائة شاة ووليدة ، أي : جارية . وكأنه زعم أن الرجم حق لزوج المزني بها ، فأعطاه ما أعطاه .

هو حكم الله فيستقبلانه بالرضا والطاعة ، وإن لم يكن هذا القسم بمطرد لكن إن احتيج إليه فُعل .

• وهكذا تعلَّم من النبي ﷺ أصحابُه رضي الله عنهم فيقضون بالحق الذي يرونه ويطيبون الخواطر .

• وها هو أبو بكر رضي اللَّه عنه ترسل إليه فاطمة رضي الله عنها تسأله ميراثها من رسول الله ﷺ ، وأبو بكر قد سمع حديث النبي ﷺ : « **لا نورث ما تركنا فهو صدقة** » ، فيقول أبو بكر رضي الله عنه : . . وإني والله لا أغير شيئًا من صدقات رسول الله ﷺ التي كانت عليها في عهد النبي ﷺ ولأعملن فيها بما عمل فيها رسول الله ﷺ . . فمع هذا الحكم والقضاء من أبي بكر رضي الله عنه إلا أنه يتبعه بالقول الطيب الذي قاله لعلي رضي الله

= وتغريب عامٍ . وأن على امرأة هذا الرجم . فقال رسول لله ﷺ : « والذي نفسي بيده ! لأقضين بينكما بكتاب الله . الوليدة والغنم ردٌّ[1] . وعلى ابنك جلد مائةٍ ، وتغريب عامٍ . واغد ، يا أنيس[2] إلى امرأة هذا . فإن اعترفت فارجمها » .

قال : فغدا عليها . فاعترفت . فأمر بها رسول الله ﷺ : فرجمت .

---

(١) الوليدة والغنم رد : أي : مردودة . ومعناه يجب ردها إليك . وفي هذا أن الصلح الفاسد يرد . وأن أخذ المال فيه باطل يجب رده . وأن الحدود لا تقبل الفداء .

(٢) واغد يا أنيس : قال الإمام النووي رضي الله تعالى عنه : واعلم أن بعث أنيس محمول عند العلماء من أصحابنا وغيرهم على إعلام المرأة بأن هذا الرجل قذفها بابنه . فيعرفها بأن لها عنده حد القذف فتطالب به أو تعفو عنه . إلا أن تعترف بالزنى فلا يجب عليه حد القذف بل يجب عليها حد الزنى ، وهو الرجم لأنها كانت محصنة . فذهب إليها أنيس ، فاعترفت بالزنى ، فأمر النبي ﷺ برجمها ، فرجمت . ولابد من هذا التأويل لأن ظاهره أنه بُعث لإقامة حد الزنى . وهذا غير مراد . لأن حد الزنى لا يحتاط له بالتجسس والتفتيش عنه ، بل لو أقر به الزاني استحب أن يلقَّن الرجوع .

عنه : **والذي نفسي بيده لقرابة رسول اللَّه ﷺ أحبُّ إليَّ أن أصل من قرابتي**[١] !!!

● **وها هو أمير المؤمنين عمر رضي اللَّه عنه يطيب خاطر ولده عبد اللَّه بن عمر ، لكن ليس على حساب الحق** ، فلما جاءه الناس وهو بين يدي الموت لما طُعن فقالوا : « أوصِ يا أمير المؤمنين ، استخلِف ، قال : ما أجد أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر ـ أو الرهط ـ الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ ، فسمى عليًّا وعثمان والزبير وطلحة وسعدًا وعبد الرحمن ، وقال : يشهدكم عبد الله بن عمر وليس له من الأمر شيء ، كهيئة التعزية له . . »[٢] .

فابن عمر فقط إنما يشهد مجلس اختيار الخليفة بعد عمر ، وذلك نوع من أنواع المواساة له ، ولكن ليس له من الأمر شيء ، ذلك لأن هناك من أهل الفضل وأهل السبق إلى الإسلام وأهل البذل والعطاء والفداء من هو

---

(١) أخرج البخاري (حديث ٣٧١١) ومسلم (حديث ١٧٥٩) من حديث عائشة رضي الله عنها : أن فاطمة عليها السلام أرسلت إلى أبي بكر تسأله ميراثها من النبي ﷺ مما أفاء الله على رسوله ﷺ تطلب صدقة النبي ﷺ التي بالمدينة وفدك ، وما بقي من خمس خيبر فقال أبو بكر : إن رسول الله ﷺ قال : « لا نورث ما تركنا فهو صدقة ، إنما يأكل آل محمدٍ من هذا المال ـ يعني مال الله ـ ليس لهم أن يزيدوا على المأكل» ، وإني والله لا أغير شيئًا من صدقات رسول الله ﷺ التي كانت عليها في عهد النبي ﷺ ، ولأعملن فيها بما عمل فيها رسول الله ﷺ ، فتشهد عليٌّ ثم قال : إنا قد عرفنا يا أبا بكرٍ فضيلتك ـ وذكر قرابتهم من رسول الله ﷺ وحقهم فتكلم أبو بكر فقال : **والذي نفسي بيده لقرابة رسول اللَّه ﷺ أحبُّ إلى أن أصلي من قرابتي** » .

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٣٧٠٠) .

أحق منه ، فهو وإن كان ابن عمر ـ لكن ليس له من الأمر شيء ، هكذا قال عمر العادل المنصف رضي الله عنه .

• **وانظر إلى الاعتذار اللطيف المُكلل بالمودة والمحبة** ، لكنه اعتذار عن القتال اعتذارٌ صدر من أسامة بن زيد رضي الله عنهما لعلي رضي الله عنه فقد كان من أمر الحروب بين عليٍّ ومعاوية رضي الله عنهما ما كان ، وكان عليٌّ يلوم من تخلف عن القتال معه ضد معاوية ، وكان من الذين أمسكوا عن الاشتراك في المعارك أسامة بن زيد ، وأسامة هو أسامة بن زيد مولى رسول الله ﷺ فهو متداخل مع آل بيت رسول الله ﷺ فلا جرم أن يجد عليٌّ في نفسه شيئًا تجاه أسامة لتخلفه عن الاشتراك معه في القتال ، أما أسامة في نفسه فقد كان قتل رجلاً في المعارك بعد أن قال الرجل لا إله إلا الله ، فلامه الرسول ﷺ أشد اللوم ، وما زالت هذه تحيك في صدر أسامة، يحيك في صدره أن قتل رجلاً بعد أن قال : لا إله إلا الله ، فمن ثمَّ اعتذر عن القتال مع عليٍّ رضي الله عنه ضد معاوية ومن معه ، فمعاوية رضي الله عنه ومن معه يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ﷺ؛ فالشاهد أن أسامة لا يرى الاشتراك في القتال ، ولكن كيف اعتذر إلى عليٍّ رضي الله عنه ، أرسل إليه يعتذر إليه ويُعلمه أنه من أحب الناس إليه ، وأنه يحب مشاركته في السراء والضراء إلا أنه لا يرى قتال المسلم ، ففي « صحيح البخاري »[1] من طريق حرملة قال : أرسلني أسامة إلى عليٍّ وقال : إنه سيسألك الآن فيقول ما خلَّف صاحبك ؟ فقل له : **يقول لك لو كنت في شدق الأسد لأحببت أن أكون معك فيه ولكن هذا أمر لم أره !!!**

---

(١) البخاري (حديث ٧١١٠) .

● فاجتهد يا عبد الله في أن تجبر كل خاطرٍ قد كُسر إما بكلمة طيبة أو بهدية أو بزيارة في الله أو بأي نوع تراه سببًا في تخفيف المصائب عن إخوانك وجبر خواطرهم ، وانتقِ الألفاظ الجميلة واختر العبارات الطيبة عند الاعتذار ولك في ذلك الأجر والثواب والله لا يضيع أجر المحسنين .

مراعاة أحاسيس الناس ومشاعرهم وقدراتهم

وللناس أحاسيس ومشاعر وقدرات يجب أن تُراعى ، وتوضع في الاعتبار عند التعامل معهم ، وقد جاء من الأدلة على ذلك ما لا يكاد يُحصى، فعليك أخي الكريم أن تراعي هذا ففيه النفع لك في دينك وفي دنياك وفي معاملتك مع الناس .

وها هي طائفة من الأدلة في هذا الباب ، والحمد لله على نعمة الإسلام ، ذلك الدين الذي يكفل لك النجاح والفلاح في الدنيا والآخرة إن تمسكت به وامتثلت شرائعه .

● أخرج البخاري ومسلم(١) من حديث مالك بن الحويرث رضي الله عنه قال : « أتينا إلى النبي ﷺ **ونحن شببة متقاربون فأقمنا عنده عشرين يومًا وليلة ، وكان رسول الله ﷺ رحيمًا رفيقًا فلما ظن أنا قد اشتهينا أهلنا ـ أو قد اشتقنا ـ سألنا عمَّن تركنا بعدنا فأخبرناه قال : ارجعوا إلى أهليكم فأقيموا فيهم وعلموهم ومُروهم** .... الحديث » .

فانظر إلى مراعاة رسول الله ﷺ لأحوال الشباب ، ونظره ﷺ في حالهم وفطنته صلوات الله وسلامه عليهم لاشتياقهم إلى أهليهم فمن ثم أمرهم بالرجوع إلى أزواجهم .

---

(١) البخاري (حديث ٦٣١) ومسلم (حديث ٦٧٤) .

● **ومن هذا** : قول النبي ﷺ : « **غزا نبي من الأنبياء فقال : لا يتبعني رجل قد ملك بُضع امرأة وهو يريد أن يبني بها ولمَّا يبن ولا آخر قد بنى بنيانًا ولمَّا يرفع سقوفها ولا آخر قد اشترى غنمًا أو خلفات وهو منتظر ولادها ، قال فغزا فأُدني للقرية حين صلاة العصر ، أو قريبًا من ذلك فقال للشمس : أنت مأمورة وأنا مأمور ، اللهم احبسها عليَّ شيئًا فحبست** » أخرجه البخاري ومسلم[1] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

وهذا النبي هو يوشع ابن نون عليه السلام لما في «مسند الإمام أحمد» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **إن الشمس لم تحبس على بشر إلا ليوشع ليالي سار إلى بيت المقدس** » .

فهذا النبي الكريم الذي غزا يعرف أن العقد على المرأة مدعاة إلى التفكير فيها وفي جماعها ومن ثمَّ أراد أن لا ينشغل أحد المجاهـدين بالتفكير في زوجته المعقود عليها ، كيف هي ؟ ، ومتى أبني بها؟ ومتى أرجع إليها ؟

وكذلك الذي رفع أعمدة بيتٍ يفكر في سقفه متى سيُسقف ؟ ، ومتى سيُسكن ؟! فحتى يتفرغ الناس للجهاد وينشغلوا بالقتال منع النبي خروج من هذه حالهُ معهم .

● **ومن ذلك أيضًا** : قول النبي ﷺ : « **لا صلاة بحضرة طعام ولا وهو يدافعه الأخبثان** »[2] .

---

(١) البخاري (حديث ٣١٢٤) ومسلم (حديث ١٧٤٧) .

(٢) أخرجه مسلم (حديث ٥٦٠) وأبو داود (حديث ٨٩) من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعًا .

=

● وقوله ﷺ[١] : « **إذا وُضع العَشاء وأقيمت الصلاة فابدأوا بالعَشاء** » .

● وفي رواية أخرى في « الصحيحين »[٢] كذلك من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « **إذا وضع عشاء أحدكم وأُقيمت الصلاة فابدأوا بالعشاء ولا يعجل حتى يفرغ منه** » .

● وفي « الصحيحين »[٣] أيضًا من حديـــث أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **إذا قُدِّم العشاء فابدأوا به قبل أن تصلوا صلاة المغرب ولا تعجلوا عن عشائكم** » .

ومن مراعاة أحوال الناس أيضًا :

ما ورد عن رسول الله ﷺ أنه كان يأمر المؤذن في الليلة الباردة أو المطيرة أن يؤذن فيقول : ألا صلوا في الرحال[٤] .

أخرج البخاري ومسلم[٥] من طريق عبد الله بن الحارث قال : خطبنا

= قلت : والأخبثان المراد بهما البول والغائط .

قال الخطابي : إنما أمر النبي ﷺ أن يبدأ بالطعام لتأخذ النفس حاجتها منه فيدخل المصلي في صلاته وهو ساكن الجأش لا تنازعه نفسه شهوة الطعام فيعجله ذلك عن إتمام ركوعها وسجودها وإيفاء حقوقها ، وكذلك إذا دافعه البول فإنه يصنع به نحواً من هذا الصنيع، وهذا إذا كان في الوقت فضل يتسع لذلك ، فأما إذا لم يكن فيه متسع له ابتدأ بالصلاة ولم يعرج على شيء سواها .

(١) أخرجه البخاري (٦٧١) ومسلم (٥٥٨) من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعًا .

(٢) البخاري (حديث ٦٧٣) ومسلم (حديث ٥٥٩) .

(٣) البخاري (حديث ٦٧٢) ومسلم (حديث ٥٥٧) .

(٤) الرحال المراد بها البيوت والمساكن .

(٥) البخاري (مع الفتح ٢/٩٧) ومسلم (مع النووي ٥/٢٠٦) .

ابن عباس في يوم ردغٍ فلما بلغ المؤذن حي على الصلاة فأمره أن يُنادي : الصلاة في الرحال ، فنظر القوم بعضهم إلى بعض فقال : فعل هذا من هو خير منه وإنها عزمة .

● وفي « الصحيحين »[1] أيضًا من طريق نافع قال : أذن ابن عمر في ليلة باردة بضجنان ، ثم قال : صلوا في رحالكم فأخبرنا أن رسول الله ﷺ يأمر مؤذنًا يؤذن ثم يقول على إثره : « ألا صلوا في الرحال في الليلة الباردة أو المطيرة في السفر » .

● **ومن ذلك : تصرف النبي ﷺ مع عثمان** رضي الله عنه ، فلما كان عثمان رجلاً حييًّا قد يمنعه حياؤه من بيان حاجته وشرح حالته فمن ثمَّ جمع النبي ﷺ ثيابه وتأهب لاستقبال عثمان رضي الله عنه ففي «صحيح مسلم»[2] من حديث عائشة وعثمان رضي الله عنهما أن أبا بكرٍ استأذن على رسول الله ﷺ وهو مضطجعٌ على فراشه ، لابسٌ مرط[3] عائشة فأذن لأبي بكرٍ وهو كذلك . فقضى إليه حاجته ثم انصرف . ثم استأذن عمر . فأذن له وهو على تلك الحال فقضى إليه حاجته . ثم انصرف . قال عثمان : ثم استأذنت عليه فجلس .

وقال لعائشة : « **اجمعي عليك ثيابك** » فقضيت إليه حاجتي ثم انصرفت . فقالت عائشة : يا رسول الله ! مالي لم أرك فزعت لأبي بكرٍ وعمر رضي الله عنهما كما فزعت لعثمان ؟ قال رسول اللّه ﷺ : « **إن عثمان**

---

(١) البخاري (مع الفتح ٢/ ١١٢) ومسلم (٥/ ٢٠٥) .

(٢) مسلم (حديث ٢٤٠٢) .

(٣) المرط هو الكساء من الصوف .

رجلٌ حييٌّ . وإني خشيت ، إن أذنت له على تلك الحال ، أن لا يبلغ إليَّ في حاجته » .

● ومن ذلك : مراعاة النبي ﷺ لغيرة عُمر

ففي « الصحيحين »[1] من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : « **دخلت الجنة أو أتيت الجنة فأبصرت قصراً فقلت لمن هذا؟ قالوا : لعمر بن الخطاب فأردت أن أدخله فلم يمنعني إلا علمي بغيرتك** » ، قال عمر بن الخطاب : يا رسول اللَّه بأبي أنت وأمي يا نبي اللَّه أو عليك أغار ؟!! .

● ومن ذلك ما أخرجه البخاري ومسلم[2] من حديث أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت : تزوجني الزبير وما له في الأرض من مالٍ ولا مملوكٍ ولا شيء غير ناضح وغير فرسه ، فكنت أعلف فرسه وأستقي الماء وأخرز غربه وأعجن ، ولم أكن أحسن أخبز ، وكان يخبز جاراتٌ لي من الأنصار ، وكن نسوة صدق ، وكنت أنقل النوى من أرض الزبير - التي أقطعه رسول الله ﷺ - على رأسي ، وهي مني على ثلثي فرسخ : فجئت يومًا والنوى على رأسي ، فلقيت رسول الله ﷺ ومعه نفرٌ من الأنصار ، فدعاني ، ثم قال : إخْ إخ ، ليحملني خلفه ، **فاستحييت أن أسير مع الرجال، وذكرت الزبير وغيرته - وكان أغير الناس - فعرف رسول اللَّه ﷺ أني قد استحييت ، فمضى** ، فجئت الزبير فقلت : لقيني رسول الله ﷺ وعلى

---

(١) البخاري (حديث ٥٢٢٦) ومسلم (حديث ٢٣٩٤) .

(٢) البخاري (حديث ٥٢٢٤) .

رأسي النوى ومعه نفرٌ من أصحابه ، فأناخ لأركب ، فاستحييت منه وعرفت غيرتك ، فقال : والله لحملك النوى كان أشد عليَّ من ركوبك معه . قالت: حتى أرسل إليَّ أبو بكرٍ بعد ذلك بخادمٍ تكفيني سياسة الفرس ، فكأنما أعتقني .

● **ومن ذلك : أن النبي ﷺ لم يكن يواجه الناس بالعتاب .**

ففي « الصحيحين »[1] من حديث عائشة رضي الله عنها قالت : صنع النبي ﷺ شيئًا فرخص فيه فتنزه عنه قوم فبلغ ذلك النبي ﷺ فخطب فحمد الله ثم قال : ما بال أقوام يتنزهون عن الشيء أصنعه ، فوالله إني لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية .

فلم يكن رسول الله ﷺ يُصرح بأسماء الأشخاص الذي ارتكبوا المعاصي أو صدرت منهم مخالفات ، بل يشير إشارات « **ما بال أقوامٍ** » !!

لا يُترك الأمر يمر بدون علاج ، ولا يُذكر أحدٌ باسمه بسوء[3] .

وفي حديث الإفك يقول الرسول ﷺ في شأن ابن سلول المنافق الذي قذف عائشة : « **من يعذرني من رجلٍ بلغني أذاه في أهلي ، ووالله ما علمت على أهلي إلا خيرًا** »[4] ولا يسميه الرسول ﷺ حتى إن بعض الصحابة سأل من هو يا رسول الله . .

---

(١) البخاري (حديث ٦١٠١) ومسلم (حديث ٢٣٥٦) .

(٢) أخرجه أبو داود (٤٧٨٨) **بإسناد حسن** عن عائشة قالت : كان النبي ﷺ إذا بلغه عن الرجل الشيء لم يقل : ما بال فلان يقول ، ولكن يقول : ما بال أقوام يقولون : كذا وكذا .

(٣) إلا إذا دعت الضرورة القصوى لذلك . وكان لابد من ذلك .

(٤) في حديث الإفك ، وقد تقدم .

● **ومن ذلك:** مراعاة النبي ﷺ لمشاعر عبد الله بن عبد الله بن أُبي ابن سلول لما مات أبوه عبد الله بن أُبي؛ ففي « صحيح مسلم »[1] عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : لما توفي عبد الله بن أُبيٍّ ابن سلول جاء ابنه عبد الله ابن عبد الله إلى رسول الله ﷺ . فسأله أن يعطيه قميصه أن يكفن فيه أباه . فأعطاه . ثم سأله أن يصلي عليه . فقام رسول الله ﷺ ليصلي عليه . فقام عمر فأخذ بثوب رسول الله ﷺ . فقال : يا رسول الله ! أتصلي عليه وقد نهاك الله أن تصلي عليه ؟ فقال رسول الله ﷺ : « **إنما خيرني اللَّه فقال : ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً﴾** [التوبة: ٨٠] **وسأزيد على سبعين** » قال : إنه منافقٌ .

فصلى عليه رسول الله ﷺ وأنزل الله عز وجل : **﴿وَلا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ﴾** [التوبة: ٨٤].

فعبد الله بن أبي ابن سلول رئيس المنافقين بالمدينة وكبيرهم ، هو الذي تولى كبر حديث الإفك وقذف أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها .

هو الذي قال : **﴿لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ﴾** [المنافقون: ٨] وفعل جملة أفاعيل وكبائر ، وكان يجبر إماءه على الزنا ، ومع ذلك كله فلما مات جاء ولده إلى رسول الله ﷺ يطلب منه قميصه لوالده الذي مات كي يُكَفَّن فيه فأعطاه الرسول إياه وكساه به ونفث فيه من ريقه .

فولده عبد الله بن عبد الله مؤمن فلم يكسر الرسول ﷺ خاطره ، مادام أنه ليس هناك معصية .

---

(١) مسلم (حديث ٢٤٠٠)

● **ومن ذلك** : قول النبي ﷺ : « **لا تسبوا الأموات فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا** »[١] ، فلماذا لا يُسبُّ الأموات ؟!

● لأنهم قد أفضوا إلى ما قدموا ، ولهم ما كسبوا وعليهم ما اكتسبوا.

● ولأن في سبهم أيضًا أذًى للأحياء من أقاربهم[٢] ، وإشعالاً للفتن في كثير من الأحيان ، إذ الشخص ينتصر لقريبه ولأبيه ولأمه ولأخته وأخيه ولصديقه وحميمه .

إذن فلا فائدة في السباب لما في السباب من جرح للشعور وأذى للأحياء.

● ولما قال فرعون لموسى : ﴿**فما بال القرون الأولى**﴾ قال: ﴿**علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى**﴾ .

● لكن إن كان الميت سنَّ سننًا سيئة وشرّع تشريعات باطلة وأفسد في الأرض فلابد حينئذٍ من بيان حاله حتى لا يُتَّبع ولا يُتأسى به وقد ذُكر في كتاب الله فرعون وهامان وقارون ، وذُكر أيضًا أبو لهب ، قال تعالى : ﴿**إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ**﴾ [القصص: ٨] وقال سبحانه في شأن قارون : ﴿**فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ**﴾ [القصص: ٨١] وفي شأن أبي لهب : ﴿**تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ**﴾ [المسد: ١].

وقال النبي ﷺ : « **رأيت عمرو بن لُحي يجر قُصْبه في النار ، وكان**

---

(١) البخاري (حديث ١٣٩٣) .

(٢) عند الترمذي (١٩٨٢) من حديث المغيرة بن شعبة مرفوعًا « لا تسبوا الأموات فتؤذوا الأحياء » **وفي إسناده خلاف** .

أول من سيَّب السوائب »(١) .

● وأخرج البخاري ومسلم(٢) من حديث أنس رضي الله عنه قال : مروا بجنازة فأثنوا عليها خيراً فقال النبي ﷺ : « **وجبت** » ، ثم مروا بأخرى فأثنوا عليها شرًّا فقال : « **وجبت** » ، فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : ما

---

(١) البخاري (٣٥٢١) وانظر أيضًا البخاري (حديث ١٢١٢) ومسلم (ص٦١٩) .

(٢) البخاري (حديث ١٣٦٧) ومسلم (مع النووي ٧/١٨) .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في « فتح الباري » (٣/٢٥٨ ـ ٢٥٩) :

وقال القرطبي في الكلام على حديث « وجبت » : يحتمل أجوبة :

الأول: أن الذي كان يحدث عنه بالشر كان مستظهرًا به فيكون من باب لا غيبة لفاسق ، أو كان منافقًا .

ثانيها : يحمل النهي على ما بعد الدفن ، والجواز على ما قبله ليتعظ به من يسمعه .

ثالثها : يكون النهي العام متأخرًا فيكون ناسخًا ، وهذا ضعيف . وقال ابن رشيد ما محصله : إن السب ينقسم في حق الكفار وفي حق المسلمين ، أما الكافر فيمنع إذا تأذى به الحي المسلم ، وأما المسلم فحيث تدعو الضرورة إلى ذلك كأن يصيرَ من قبيل الشهادة ، وقد يجب في بعض المواضع، وقد يكون فيه مصلحة للميت، كمن علم أنه أخذ ماله بشهادة زور ومات الشاهد فإن ذكر ذلك ينفع الميت إن علم أن ذلك المال يرد إلى صاحبه . قال : ولأجل الغفلة عن هذا التفصيل ظن بعضهم أن البخاري سها عن حديث الثناء بالخير والشر ، وإنما قصد البخاري أن يبين أن ذلك الجائز كان على معنى الشهادة ، وهذا الممنوع هو على معنى السب، ولما كان المتن قد يشعر بالعموم أتبعه بالترجمة التي بعده . وتأول بعضهم الترجمة الأولى على المسلمين خاصة . والوجه عندي حمله على العموم إلا ما خصصه الدليل . بل لقائل أن يمنع أن ما كان على جهة الشهادة وقصد التحذير يسمى سبًّا في اللغة .

وقال ابن بطال : سب الأموات يجري مجرى الغيبة ، فإن كان أغلب أحوال المرء الخير ـ وقد تكون منه الفلتة ـ فالاغتياب له ممنوع ، وإن كان فاسقًا معلنًا فلا غيبة له ، فكذلك الميت . ويحتمل أن يكون النهي على عمومه فيما بعد الدفن ، والمباح ذكر الرجل بما فيه قبل الدفن ليتعظ بذلك فساق الأحياء ، فإذا صار إلى قبره أمسك عنه لإفضائه إلى ما قدم .

وجبت ؟ قال : « **هذا أثنيتم عليه خيرًا فوجبت له الجنة ، وهذا أثنيتم عليه شرًّا فوجبت له النار أنتم شهداء اللَّه في الأرض** » .

ومن مراعاة المشاعر أيضًا :

ترك ذكر ما يتعلق بالجماع أمام محارم الزوجة وأقاربها :

وذلك باب من أبواب الحياء ينبغي أن يراعى وذلك حتى لا تُحرج أقارب الزوجة وتخدش كرامتهن .

ولذلك قال عليٌّ رضي الله عنه ـ كما في « الصحيحين »[(١)] ـ : كنت رجلاً مذَّاءً[(٢)] ، وكنت أستحيي أن أسأل النبي ﷺ لمكان ابنته فأمرت المقداد ابن الأسود فسأله فقال : « **يغسل ذكره** » .

وإذا وجدت مصلحة شرعية في السؤال عما يتعلق بالجماع فلا بأس بالسؤال والاستفسار عن ذلك .

ومن ذلك : أن عمرو بن العاص كان يسأل زوجة ابنه عن حالها مع زوجها ، قال عبد الله بن عمرو[(٣)] رضي الله عنهما : أنكحني أبي امرأةً ذات حسب فكان يتعاهد كنَّته فيسألها عن بعلها فتقول : نعم الرجل من رجل لم يطأ لنا فراشًا ولم يفتش لنا كنفًا منذ أتيناه ، فلما طال ذلك عليه ذكر للنبي

---

(١) البخاري (حديث ٢٦٩) ومسلم (حديث ٣٠٣) .

(٢) مذاءً أي : كثير المذي ، والمَذي ماء أبيض رقيق لزج يخرج عند شهوة ولا يخرج متدفقًا ولا يتبعه فتور ولا تنقضي بخروجه الشهوة ، وقد لا يحس الرجل بخروجه ، وهو في الرجال والنساء ، وقال بعض العلماء : إنه في النساء أكثر .

(٣) البخاري (حديث ٥٠٥٢) .

ﷺ فقال : « **القني به** » فلقيته بعد فقال : « **كيف تصوم ؟** » . قلت : أصوم كل يوم . قال : « **وكيف تختم ؟** » قلت : كل ليلةٍ . قال : « **صم في كل شهر ثلاثةً واقرأ القرآن في كل شهر** » . قال قلت : أطيق أكثر من ذلك ، قال : « **صم ثلاثة أيام في الجمعة** » . قال قلت : أطيق أكثر من ذلك قال : « **أفطر يومين وصم يومًا** » . قال قلت : أطيق أكثر من ذلك ، قال : «**صم أفضل الصوم صوم داود، صيام يومٍ وإفطار يومٍ ، واقرأ في كل سبع ليال مرةً** » . فليتني قبلت رخصة رسول الله ﷺ ، وذلك أني كبرت وضعفت فكان يقرأ على بعض أهله السبع من القرآن بالنهار والذي يقرؤه يعرضه من النهار ليكون أخف عليه بالليل وإذا أراد أن يتقوى أفطر أيامًا وأحصى وصام مثلهن ، كراهية أن يترك شيئًا فارق النبي ﷺ عليه . قال أبو عبد الله : وقال بعضهم : في ثلاثٍ أو في سبعٍ وأكثرهم على سبع .

- **وعلى الشخص أن يفهم أساليب الناس وطريقة الخطاب معهم ومدلولات ألفاظهم ومخارج أقوالهم وأن يكون قوي الملاحظة في ذلك**

- فالله سبحانه وتعالى يقول في شأن أهل النفاق : ﴿ **قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ** ﴾ [آل عمران: ١١٨]

- ويقول سبحانه : ﴿ **وَلَوْ نَشَاءُ لأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ** ﴾ [محمد: ٣٠].

فليس كل أحدٍ يعبر عما في نفسه صراحة ، صحيح أن منهم من يصرح بما في نفسه ومنهم من يكتم ما في نفسه ويظهر ذلك على وجهه ، ومنهم من يكتم ما في نفسه لكن الألفاظ تخرج رغمًا عنه تنم عما في نفسه من خير

أو شرٍّ أو حب أو بغضٍ أو غضب أو ارتياح ، فعلى المرء أن يكون قوي الملاحظة في ذلك .

• **فكان الصحابة يعرفون الغضب في وجه رسول الله ﷺ .**

أخرج البخاري ومسلم[1] من حديث علي رضي الله عنه قال : **أهدى إليَّ النبيُّ ﷺ حلة سِيراء فلبستها فرأيت الغضب في وجهه فشققتها بين نسائي.**

ومن ذلك: قول النبي ﷺ لعائشة: «إني لأعرف غضبك ورضاك» ، قلت : وكيف تعرف ذاك يا رسول الله ؟ قال : « **إنك إذا كنت راضية قلت : بلى ورب محمد ، وإذا كنت ساخطة قلت : لا ورب إبراهيم** » قالت : قلت أجل لا أهجر إلا اسمك .

وفي رواية : « **إني لأعلم إذا كنت عليَّ راضية وإذا كنت عليَّ غضبى...** ».

فانظر إلى أدب أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في التعبير عن غضبها؟!!

نعم فإنها تتعامل مع من يفهم ويُقدِّر ، إنها تتعامل مع سيد ولد آدم إنها تتعامل مع خاتم الرسل صلوات الله وسلامه عليه ، يعرف ألفاظها ومدلولات ألفاظها وتعبيرات وجهها وقسمات وجهها .

ألا فانتبه يا عبد الله واعقل إن كنت تعقل .

---

(١) البخاري (حديث ٢٦١٤) ومسلم (حديث ٢٠٧١) .

(٢) البخاري (حديث ٦٠٧٨) و(٥٢٢٨) ومسلم (٤/ ١٨٩٠) .

• **ومن ذلك أيضًا : سؤال سلمان لأم الدرداء عن حالها لما رآها متبذلة ،** فسألها عن سبب تبذلها وعدم اهتمامها بملبسها . والحديث بذلك في « الصحيحين »[١] من حديث أبي جحيفة رضي الله عنه قال : آخى النبي ﷺ بين سلمان وأبي الدرداء ، فزار سلمان أبا الدرداء ، فرأى أم الدرداء متبذلة[٢] فقال لها : ما شأنك ؟ قالت : أخوك أبو الدرداء ليس له حاجةٌ في الدنيا . فجاء أبو الدرداء فصنع له طعامًا فقال له : كل . قال : فإني صائمٌ. قال : ما أنا بآكلٍ حتى تأكل . قال : فأكل . فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم . قال : نم . فنام . ثم ذهب يقوم . فقال : نم . فلما كان من آخر الليل قال سلمان : قم الآن ، فصليا **فقال له سلمان : إن لربك عليك حقًّا ، ولنفسك عليك حقًّا ، ولأهلك عليك حقًّا، فأعط كل ذي حقٍّ حقه** . فأتى النبي ﷺ فذكر ذلك له . **فقال له النبي ﷺ : « صدق سلمان »** .

فانظر إلى فهم سلمان وفقه سلمان وملاحظة سلمان رضي الله عنه المرأة (امرأة أبي الدرداء) متبذلة لا تتزين ، لا تختضب ـ لا تكتحل ـ لا تهتم بثيابها لم هذا؟ فطن سلمان، وفهم سلمان من قولها: أخوك أبو الدرداء ليست له حاجة في الدنيا ، فنبه سلمان أبا الدرداء على هذا، وأقرَّ رسول الله ﷺ سلمان على تنبيهه لأخيه وعلى إرشاده لأخيه .

وللناس قدرات أيضًا يجب أن تراعيها

• قال الله تبارك وتعالى: ﴿ **لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا** ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

• ومن المعلوم أن هذه الآية نزلت ناسخة لقوله تعالى : ﴿ **وَإِن تُبْدُوا**

---

(١) البخاري (حديث ١٩٦٨) .

(٢) يظهر أن هذا قبل الحجاب

مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٤].

ففي « صحيح مسلم »[١] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : لما نزلت على رسول الله ﷺ : **﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾** [البقرة: ٢٨٤] قال : فاشتد ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ فأتوا رسول الله ﷺ . ثم بركوا على الركب . فقالوا : أي رسول الله ! كلفنا من الأعمال ما نطيق . الصلاة والصيام والجهاد والصدقة . وقد أنزلت عليك هذه الآية . ولا نطيقها . قال رسول الله ﷺ : « **أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم : سمعنا وعصينا ؟ بل قولوا : سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير** » قالوا : سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير . فلما اقترأها القوم ذلت بها ألسنتهم . فأنزل الله في إثرها : **﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾** [البقرة: ٢٨٥] فلما فعلوا ذلك نسخها الله تعالى فأنزل الله عز وجل : **﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ (قال : نعم) ﴿رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾ (قال : نعم) ﴿رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ (قال : نعم) ﴿وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ (قال : نعم)** [البقرة: ٢٨٦].

---

(١) مسلم (حديث ١٢٥) .

وعنده[١] أيضًا من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : لما نزلت هذه الآية : ﴿وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٤] قال : دخل قلوبهم منها شيءٌ لم يدخل قلوبهم من شيءٍ . فقال النبي ﷺ : « قولوا : سمعنا وأطعنا وسلمنا » قال : فألقى الله الإيمان في قلوبهم . فأنزل الله تعالى: ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ (قال:قد فعلت) ﴿رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾ (قال : قد فعلت) ﴿رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ (قال: قد فعلت) ﴿وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ (قال: قد فعلت) [البقرة:٢٨٦].

● وقال الله تعالى : ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ مَا آتَاهَا﴾ [الطلاق: ٧].

● وقال سبحانه : ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦].

● وقال سبحانه : ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨].

● وأباح اللهُ للمضطر أكل الميتة ، قال تعالى : ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلا عَادٍ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٧٣].

● وأباح الله للمكره التلفظ بكلمة الكفر ، قال الله تعالى : ﴿مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ﴾ [النحل: ١٠٦].

● **ومن هذا الباب** : تخفيف الصلاة من أجل بكاء الصبي وضعف الضعيف .

---

(١) مسلم (حديث ١٢٦) .

قال النبي ﷺ : « **إني لأقوم في الصلاة أُريد أن أطوِّلَ فيها فأسمع بكاء الصبي فأتجوَّز في صلاتي كراهية أن أشق على أمه** »[١] .

وفي رواية في « الصحيحين »[٢] من حديث أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « **إني لأدخل الصلاة فأريد إطالتها فأسمع بكاء الصبي فأتجوَّز مما أعلم من شدة وجد أمه من بكائه** » .

● **ومن ذلك أيضًا** : ما أخرج البخاري مسلم[٣] من حديث أبي مسعود البدري رضي الله عنه قال : قال رجل : يا رسول الله إني لأتأخر عن الصلاة في الفجر مما يطيل بنا فلان فيها ، فغضب رسول الله ﷺ ما رأيته غضب في موضع كان أشد غضبًا منه يومئذ ثم قال : « **يا أيها الناس إن منكم منفِّرين فمن أمَّ الناس فليتجوز فإن خلفه الضعيف والكبير وذا الحاجة** » .

● وفي « الصحيحين »[٤] أيضًا من حديث جابر بن عبد الله الأنصاري قال : أقبل رجل بناضحين وقد جنح الليل فوافق معاذًا يُصلي فترك ناضحه وأقبل إلى معاذ فقرأ بسورة البقرة أو النساء فانطلق الرجل وبلغه أن معاذًا نال منه فأتى النبي ﷺ فشكا إليه معاذًا فقال النبي ﷺ : « **يا معاذ أفتان أنت - أو أفاتن - (ثلاث مرار) فلولا صليت بسبح اسم ربك والشمس وضحاها والليل إذا يغشى فإنه يصلي وراءك الكبير والضعيف وذو الحاجة** » .

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٧٠٧) من حديث أبي قتادة رضي الله عنه مرفوعًا .
(٢) البخاري (حديث ٧١٠) ومسلم (ص٣٤٣) .
(٣) البخاري (حديث ٧٠٤) ومسلم -(حديث ٤٦٦) .
(٤) البخاري (حديث ٧٠٥) ومسلم (حديث ٤٦٥) .

● وفي « صحيح مسلم »[(١)] من حديث عثمان بن أبي العاص الثقفي أن النبي ﷺ قال له : « **أمَّ قومك** » قال : قلت يا رسول الله إني أجد في نفسي شيئًا قال : « **ادنه** » فجلَّسني بين يديه ثم وضع كفه في صدري بين ثدييَّ ثم قال : تحوَّل فوضعها في ظهري في كتفي ثم قال : « **أُمَّ قومك فمن أَمَّ قومًا فليخفف فإن فيهم الكبير وإن فيهم المريض وإن فيهم الضعيف وإن فيهم ذا الحاجة ، وإذا صلى أحدكم وحده فليُصل كيف شاء** » .

دفع الشكوك عن المسلمين

وقد أمر بذلك شرعنا الحنيف حتى تبقى قلوب العباد نظيفة ولا يتسرب إلى قلوبهم شكوك في إخوانهم ، وقد دلت على ذلك جملة أدلة في اتجاهات شتى .

● **ففي باب التناجي :**

قال النبي ﷺ[(٢)] : « **إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى رجلان دون الآخر حتى تختلطوا بالناس أجل أن ذلك يُحزنه** » .

وهذا في الأدب النبوي الذي أدب به النبي ﷺ أمته فإذا تناجى اثنان دون الثالث لعب الشيطان بالثالث وحدثته نفسه لعل هذين يتآمران من أجلك ويكيدان لك ، لعل كذا ولعل كذا . .

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ٤٦٨) .

(٢) أخرجه البخاري (٦٢٩٠) ومسلم (حديث ٢١٨٤) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعًا .

وقد ورد في بعض الروايات زيادة (حتى يستأذنه) **وهي زيادة ضعيفة** .

وينسحب هذا الحكم على ما إذا كانوا أربعة فلا يتناجى ثلاثة دون الرابع وكذلك لا يتناجى الخمسة دون السادس ، فكل ما فيه حزنٌ للمسلم يُتقى ويُبتعد عنه أما إذا كان هناك ملأ أربعة مثلاً أو خمسة أو أكثر فلا بأس أن يتناجى اثنان منهم دون الآخرين، وذلك حتى لا تتعطل مصالح المسلمين ثم إن احتمال تسرب الحزن في مثل هذه الحال إلى قلوب الآخرين ضعيف بل منعدم وقد جاءت الأدلة بإباحة ذلك .

ففي « الصحيحين »[1] من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال : قسم النبي ﷺ يومًا قسمة فقال رجل من الأنصار: إن هذه القسمة ما أريد بها وجه الله ، قلت: أما والله لآتين النبي ﷺ فأتيته وهو في ملإٍ فساررته فغضب حتى احمر وجهه ثم قال: **«رحمة اللَّه على موسى أوذي بأكثر من هذا فصبر»** .

● فها هو ابن مسعود يأتي ويسارر رسول الله ﷺ والنبي ﷺ في ملإٍ .

. وأيضًا فقد جاءت فاطمة بنت رسول الله ﷺ فساررته في حضور أزواجه ، وقد أخرج الحديث بذلك البخاري ومسلم[2] في « صحيحيهما » من حديث عائشة أم المؤمنين قالت : إنا كنا أزواج النبي ﷺ عنده جميعًا لم تغادر منا واحدة ، فأقبلت فاطمة عليها السلام تمشي ، ولا والله ما تخفى مشيتها من مشية رسول الله ﷺ . فلما رآها رحب قال : مرحبًا بابنتي ، ثم أجلسها عن يمينه ـ أو عن شماله ـ ثم سارها . فبكت بكاء شديدًا ، فلما رأى حزنها سارها الثانية. فإذا هي تضحك . فقلت لها ـ أنا من بين نسائه ـ: خصك رسول الله ﷺ بالسر من بيننا ثم أنت تبكين . فلما قام رسول الله

---

(١) البخاري (حديث ٦٢٩١) ومسلم (حديث ١٠٦٢) .

(٢) البخاري (حديث ٦٢٨٥ ، ٦٢٨٦) ومسلم (حديث ٢٤٥٠) .

ﷺ سألتها عما سارك ؟ قالت : ما كنت لأفشي على رسول الله ﷺ سره ، فلما توفي قلت لها : عزمت عليك ـ بما لي عليك من الحق ـ لما أخبرتني. قالت : أما الآن فنعم ؛ فأخبرتني قالت : أما حين سارني في الأمر الأول فإنه أخبرني أن جبريل كان يعارضه بالقرآن كل سنةٍ مرة ، وإنه قد عارضني به العام مرتين ، ولا أرى الأجل إلا قد اقترب ، فاتقي الله واصبري ، فإني نعم السلف أنا لك . قالت : فبكيت بكائي الذي رأيت . فلما رأى جزعي سارني الثانية قال : يا فاطمة ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين ؟ أو سيدة نساء هذه الأمة .

● وغريبٌ وعجيبٌ أمر رجال ونساء لا يحتاجون إلى التناجي ولكنهم يختلقون التناجي في حضور ثالثٍ حتى يؤذونه ويجلبون له الهمَّ والنكد ، فما أعظمه من جهلٍ بالشرع وأذى للمسلمين .

إنها صفية

● ومن هذا الباب قول النبي ﷺ : « **إنها صفية** » لدفع شبهة قد ترد إلى قلوب أصحابه ويظنون شيئًا برسول الله ﷺ .

أخرج البخاري ومسلم(١) في «صحيحيهما» من حديث أم المؤمنين صفية بنت حيي رضي الله عنها أنها جاءت إلى رسول الله ﷺ تزوره في اعتكافه في المسجد في العشر الأواخر من رمضان، فتحدثت عنده ساعةً ثم قامت تنقلب فقام النبي ﷺ معها يقلبها، حتى إذا بلغت باب المسجد عند باب أم سلمة مر رجلان من الأنصار فسلما على رسول الله ﷺ، فقال لهما

---

(١) البخاري (حديث ٢٠٣٥) ومسلم (حديث ٢١٧٥) .

النبي ﷺ: « **على رسلكما ، إنما هي صفية بنت حييٍّ** » ، فقالا : سبحان الله يا رسول الله ، وكبر عليهما . فقال النبي ﷺ : « **إن الشيطان يبلغ من ابن آدم مبلغ الدم ، وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شيئًا** » .

● وفي « صحيح مسلم »(١) من حديث أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان مع إحدى نسائه فمرَّ به رجل فدعاه فجاء فقال : « **يا فلان هذه زوجتي فلانة** » فقال : يا رسول الله من كنت أظن به فلم أكن أظن بك ، فقال رسول الله ﷺ : « **إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم** » .

● ومن ذلك أيضًا : قول النبي ﷺ لعائشة(٢) : « **لولا حداثة عهد قومك بالكفر لنقضت الكعبة ولجعلتها على أساس إبراهيم** » .

وفي بعض الروايات في « الصحيح »(٣) كذلك « **فأخاف أن تنكر قلوبهم أن أُدخل الجدر في البيت وأن ألصق بابه بالأرض** » .

● ومن هذا الباب : ما أخرجه مسلم(٤) في « صحيحه » من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : إن رسول الله ﷺ : « **بعثني لحاجة ثم أدركته وهو يسير** » (وفي رواية : يُصلِّي) فسلمت عليه فأشار إليَّ فلما فرغ دعاني فقال : « **إنك سلمت آنفًا وأنا أصلي** » ، وفي رواية(٥) : « **فإنه لم يمنعني أن أكلمك إلا أني كنت أصلي** » .

---

(١) مسلم (٢١٧٤) .

(٢) البخاري (١٥٨٥) ومسلم (حديث ١٣٣٣) .

(٣) البخاري (١٥٨٤) .

(٤) ، (٥) كلاهما عند مسلم (ص٣٨٣) (حديث ٥٤٠) .

وفي أبواب الفتيا

• كان النبي ﷺ إذا سئل أو أفتى أفتى بما يدفع الشكوك والظنون والوساوس عن القلوب، فمن ذلك: ما أخرجه البخاري ومسلم[(١)] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ جاءه أعرابي فقال: يا رسول الله إن امرأتي ولدت غلامًا أسود فقال: « **هل لك من إبل ؟** » قال: نعم. قال: « **ما ألوانها ؟** » قال: حُمر، قال: « **فيها من أورق**[(٢)]**؟** » قال: نعم. قال: « **فأنى كان ذلك ؟** » قال: أراه عرق نَزَعه[(٣)]، قال: « **فلعلَّ ابنك هذا نزعه عرق** ».

فالرجل قد جاء شاكًّا في زوجته مُعرضًا بقذفها فصرف الرسول ﷺ عنه هذا الشك بالمثال الذي ضربه له.

• **وكان عليه الصلاة والسلام يطمئن الخصوم في القضايا** كما أسلفنا فيقول لمن يقضي بينهما (كما في قصة العسيف) الذي زنا بامرأة الرجل: « **والذي نفسي بيده لأقضين بينكما بكتاب اللّه** ».

فالموقف يحتاج إلى مثل ذلك حتى يطمئن الخصوم، وليس هذا بلازمٍ ولا بمطرد ولكن الموقف لما كان يحتاج إلى الطمأنينة أقسم النبي ﷺ بقوله: « **والذي نفسي بيده لأقضين بينكما بكتاب اللّه** » حتى يطمئن الخصوم

---

(١) البخاري (٦٨٤٧) ومسلم (حديث ١٥٠٠).

(٢) الأورق هو الذي فيه سواد ليس بصاف.

(٣) أي: عرق من النسب نزعه وجذبه إليه، كأن يكون في أخواله مثلاً أو في أعمامه أو في أجداده رجل أسود فجُذِب الولد إلى لون أعمامه أو أخواله أو أجداده. والله أعلم.

ويقذف في قلوبهم التصديق والإقرار بالحكم .

● ولما سرقت المخزومية قال النبي ﷺ : « **والذي نفسي بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها** » .

فأمور الحدود ليس فيها مجاملات لأحد ، وإن كان من قبيلة من كبرى القبائل وعائلةٍ من أفضل العائلات .

● وكذلك رقى بعض الصحابة رجلاً على قطيع من الغنم وتحرَّج بعض الصحابة من الأكل منه ، وأتوا إلى رسول الله ﷺ وأفتاهم بجواز الأكل منه بقوله : « **خذوها واضربوا لي معكم بسهم** »[1] .

● **وعلى هذا المنوال سار أصحابه رضي اللَّه عنهم :**

فحتى يؤكد أحدهم كلامه يبدأ بإلزام نفسه بما يدعو إليه .

ومن ذلك : لما لعن ابن مسعود الواشمات و. . ونقل هذا اللعن عن رسول الله ﷺ وقالت : له المرأة فإني أرى شيئًا من هذا على امرأتك قال : أما لو كان ذلك لم نجامعها : (أي : لم نعاشرها).

أخرج الحديث بذلك البخاري ومسلم[2] من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال : لعن الله الواشمات والمستوشمات ، والنامصات[3] والمتنمصات ، والمتفلجات للحسن[4] المغيرات خلق الله . قال : فبلغ ذلك

---

(١) البخاري (مع الفتح ١٠/١٩٨) ومسلم (١٤/١٨٧ مع النووي) .

(٢) البخاري (٥٩٣٩) ومسلم (حديث ٢١٢٥) واللفظ له .

(٣) النامصات : النامصة هي التي تزيل الشعر من الوجه ، والمتنمصة هي التي تطلب فعل ذلك بها .

(٤) والمتفلجات للحسن : المراد مفلجات الأسنان . بأن تبرد ما بين أسنانها ، الثنايا =

امرأةً من بني أسدٍ . يقال لها : أم يعقوب . وكانت تقرأ القرآن . فأتته فقالت : ما حديثٌ بلغني عنك ؛ أنك لعنت الواشمات والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله . فقال عبد الله : وما لي لا ألعن من لعن رسول الله ﷺ ؟ وهو في كتاب الله . فقالت المرأة : لقد قرأت ما بين لوحي المصحف فما وجدته فقال : لئن كنت قرأتيه لقد وجدتيه . قال الله عز وجل : ﴿ **وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا** ﴾ [الحشر: ٧]. فقالت المرأة : فإني أرى شيئًا من هذا على امرأتك الآن . قال : اذهبي فانظري . قال : فدخلت على امرأة عبد الله فلم تر شيئًا . فجاءت إليه فقالت : ما رأيت شيئًا . فقال : أما لو كان ذلك ، لم نجامعها(١) .

● ولما أشار عمر بقتل أسارى بدر ، قال : يا رسول الله أرى أن تُمكني من فلانٍ قريب لي فأقتله ولتمكن عليًّا من عقيل فيقتله . .

فبدأ عمر بنفسه حتى لا يظن ظان أنه متحامل على غير أقربائه والله أعلم .

ففي « صحيح مسلم »(٢) من طريق أبي زميل قال ابن عباس : فلما

=والرباعيات . وهو من الفَلَج . وهي فرجة بين الثنايا والرباعيات وتفعل ذلك العجوز ومن قاربتها في السن إظهارًا للصغر وحسن الأسنان . لأن هذه الفرجة اللطيفة بين الأسنان تكون للبنات الصغار . فإذا عجزت المرأة كبرت سنها وتوحشت ، فتبردها بالمبرد لتصير لطيفة حسنة المنظر وتوهم كونها صغيرة . ويقال له أيضًا الوشر .

(١) لم نجامعها : قال جماهير العلماء : معناه لم نصاحبها ، ولم نجتمع نحن وهي . بل كنا نطلقها ونفارقها . (النووي)

(٢) مسلم (حديث ١٧٦٣) .

أسروا الأسارى قال رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر : « **ما ترون في هؤلاء الأسارى ؟** » فقال أبو بكر : يا نبي الله : هم بنو العم والعشيرة أرى أن تأخذ منهم فدية فتكون لنا قوة على الكفار فعسى الله أن يهديهم للإسلام فقال رسول الله ﷺ : « **ما ترى يا ابن الخطاب** » قلت : لا والله يا رسول الله ، ما أرى الذي رأى أبو بكر ولكني أرى أن تمكنا فنضرب أعناقهم فتمكن عليًّا من عقيل فيضرب عنقه وتمكني من فلان (نسيبًا لعمر)، فأضرب عنقه[1] فإن هؤلاء أئمة الكفر وصناديدها .

أعط كل ذي حقٍّ حقه

فللجسد حق ، وللضيف حق ، وللزوجة حق ، ولعينك عليك حق ، فآت كل ذي حق حقه، وبهذا جاءت سنة رسول الله ﷺ ففي «الصحيحين»[2] من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : كنت أصوم الدهر وأقرأ القرآن كل ليلةٍ . قال : فإما ذكرت للنبي ﷺ ، وإما أرسل إليّ فأتيته . فقال لي : « **ألم أُخبر أنك تصوم الدهر وتقرأ القرآن كل ليلةٍ ؟** » فقلت : بلى . يا نبي الله ! ولم أرد بذلك إلا الخير . قال : « **فإن بحسبك أن تصوم**[3] **من كل شهرٍ ثلاثةَ أيامٍ** » قلت : يا نبي الله ! إني أطيق أفضل من

(١) في رواية أحمد (١/ ٣٠ ـ ٣١) : وتمكن حمزة من فلان أخيه فيضرب عنقه حتى يعلم الله أنه ليست في قلوبنا هوادة للمشركين .

(٢) البخاري (حديث ١٩٧٥) ومسلم (حديث ١١٥٩) والسياق له .

(٣) فإن بحسبك أن تصوم : الباء فيه زائدة . ومعناه أن صوم الثلاثة الأيام من كل شهر كافيك .

ذلك . قال : « **فإن لزوجك عليك حقًا . ولزورك** [١] **عليك حقًا، ولجسدك عليك حقًا** » **قال : « فصم صوم داود نبي اللَّه (ﷺ) فإنه كان أعبد الناس »** .

قال قلت : يا نبي الله ! وما صوم داود ؟ قال : « **كان يصوم يومًا ويفطر يومًا** » قال : « **واقرإ القرآن في كل شهر** »[٢] قال قلت : يا نبي الله ! إني أطيق أفضل من ذلك . قال : « **فاقرأه في كل عشرين** » قال قلت : يا نبي الله ! إني أطيق أفضل من ذلك . قال : « **فاقرأه في كل سبعٍ ، ولا تزد على ذلك . فإن لزوجك عليك حقًا. ولزورك عليك حقًا. ولجسدك عليك حقًا** » .

قال : فشددت . فشدد علي .

قال : وقال لي النبي ﷺ : « **إنك لا تدري لعلك يطول بك عمرٌ** » .

قال : فصرت إلى الذي قال لي النبي ﷺ . فلما كبرت وددت أني كنت قبلت رخصة نبي الله ﷺ[٣] .

فلا تضيع كل الوقت مع أضيافك وتُهمل تزكية نفسك وعبادة ربك وحق زوجك فإن ذلك ينعكس أثره عليك ويرجع عليك بسوء الخلق

---

(١) ولزورك : قال في « النهاية » : هو في الأصل مصدر وضع موضع الاسم . كصوم ونوم بمعنى صائم ونائم . وقد يكون الزور جمعًا لزائر ، كركب في جمع راكب . أي : لضيفك ولأصحابك الزائرين حق عليك . وأنت تعجز ، بسبب توالي الصيام والقيام ، عن القيام بحسن معاشرتهم .

(٢) واقرأ القرآن في كل شهر : أي : اختمه .

(٣) وددت أني كنت قبلت رخصة نبي الله : معناه أنه كبر وعجز عن المحافظة على ما التزمه ووظفه على نفسه عند رسول الله ﷺ . فشق عليه فعله ، ولا يمكنه تركه .

وبمشاكل مع الزوجة وبقسوة في القلب لعدم تهذيب النفس وتزكيتها .

● وكذلك لا تولع ولعًا شديدًا بالزوجة فإن ذلك يؤثر على عبادة ربك فكم من مفتون بزوجته يتخلف عن الجمع والجماعات ومجالس العلم والذكر بسبب زوجته ، وكم من زوجة تهجر كتاب الله وتضيع الصلوات من أجل زوجها .

وكذلك كم من رجل يبخل على أضيافه ضنًّا بالمال وحرصًا ـ بزعمه ـ على نفسه وعلى أولاده .

وثمَّ صنف آخر يغالون في العبادة وحضور مجالس العلم ، ولا يكادون يستفيدون شيئًا من مجالس العلم والذكر ، بل ينعكس ما غالوا فيه على أخلاقهم داخل بيوتهم وعلى صلتهم بالناس فتجدهم في مشاكل كثيرة وخلافات مستمرة لتضييعهم حقوق العباد .

فالتوسط مطلب شرعي ؛ لكلٍّ حق ، للزوجة حق ، وللضيف حق ، وللنفس حق ، ولربك عليك حقٌّ ؛ فأعط كل ذي حق حقه .

فكما أن لك في الصلاة أجرًا ، فكذلك لك في إكرام الضيف أجر ، وكذلك فلك في جماع الزوجة أجر ، كما قال النبي ﷺ : « **وفي بضع أحدكم صدقة** » قالوا : يا رسول الله أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال : « **أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه وزر ؟! ، فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر** »[1] .

وكم من مشكلة دبت بين زوج وزوجته ، واختُلقت هذه المشكلة

(١) مسلم (٢/ ٤٣) من حديث أبي ذر رضي الله عنه مرفوعًا .

والذي وراءها كله هو هجران الزوج لفراش زوجته ، أو ترك الزوجة التزين لزوجها فانتبه يا عبد الله .

وعليك بالرِّفق واللّين وخفض الجناح للمؤمنين

● قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ **فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ** ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

● وقال سبحانه : ﴿ **وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ** (٢١٥) **فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ** ﴾ [الشعراء: ٢١٥، ٢١٦].

● ووصف الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ وأصحابه فقال سبحانه : ﴿ **مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ..** ﴾ [الفتح: ٢٩]

وتقدم قول مالك بن الحويرث في رسول الله ﷺ ، قال مالك : **وكان رسول الله ﷺ رحيمًا رفيقًا .**

● وذكر النبي ﷺ **أن من أهل الجنة : « رجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى ومسلم »**[1] .

● وقال عليه الصلاة والسلام : « **إذا أراد الله بأهل بيت خيرًا أدخل عليهم الرفق** »[2] .

---

(١) أخرجه مسلم (٢٨٦٥) .

(٢) **صحيح لشواهده** ، أخرجه أحمد (٦/ ٧١) من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعًا.

« **واللَّه يحب الرفق في الأمر كله** »[(١)] كما قال النبي ﷺ .

والرفق هو لين الجانب بالقول والفعل ، والأخذ بالأسهل ، وهو ضد العنف .

● وقد قال النبي ﷺ : « **من يُحرم الرفق يُحرم الخير** »[(٢)] .

● وقال عليه الصلاة والسلام : « **يا عائشة إن اللَّه رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف ومالا يعطي على ما سواه** »[(٣)] .

وقال صلوات الله وسلامه عليه : « **إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا يُنزع من شيء إلا شانه** »[(٤)] .

● وانظر إلى رفق رسول الله ﷺ بالأعرابي وتعليمه له فيما أخرجه البخاري ومسلم[(٥)] من حديث أنس رضي الله عنه أن أعرابيًّا بال في المسجد فقاموا إليه فقال رسول الله ﷺ: « **لا تزرموه** » ثم دعا بدلوٍ من ماء فصبَّ عليه.

● وفي رواية في « صحيح مسلم »[(٦)] : « **لا تزرموه دعوه** » فتركوه حتى بال ثم إن رسول الله ﷺ دعاه فقال له : « **إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول ولا القذر إنما هي لذكر اللَّه عز وجل والصلاة وقراءة القرآن** » أو كما قال[(٧)] رسول الله ﷺ .

---

(١) البخاري (حديث ٦٠٢٤) من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها .

(٢) مسلم (٢٥٩٢) .

(٣) مسلم (٢٥٩٣) .

(٤) مسلم (حديث ٢٥٩٤) .

(٥) البخاري (حديث ٦٠٢٥) ومسلم (حديث ٢٨٤) .

(٦) مسلم (حديث ٢٨٥) .

(٧) هكذا هي في الحديث .

وفي « صحيح مسلم »(١) من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال : « **اللهم من ولي من أمر أمتي شيئًا فشق عليهم فاشقق عليه ومن ولي من أمر أمتي شيئًا فرفق بهم فارفق به** » .

● فأصل المعاملات مع المؤمنين ينبني على الرفق واللين والإحسان إليهم والرحمة .

ولكن ثمَّ مواطن تحتاج إلى شدة ، شدة للّه وابتغاء مرضاة الله ، ثم لمنفعة الشخص ومصلحته ، فثمَّ مواطن لا يُجدي فيها اللين ولكنها تُحسم بعون الله ثم بالشدة على الشخص والأخذ على يديه وقد اشتد النبي ﷺ في عدة مواطن واشتد أصحابه كذلك في عدة مواطن ، وكما أسلفنا فكل ذلك لله وابتغاء مرضاته ورجاء ثوابه ولتقرير الحقوق ومنع الظالم من ظلمه .

● وقد قال تعالى : ﴿ **لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ...** ﴾ [الحديد: ٢٥] فمن لم ينتفع بالبينات ولم يُذعن لها استعمل معه الحديد .

---

(١) مسلم (حديث ١٨٢٨) من طريق عبد الرحمن بن شماسة .

قال : « أتيت عائشة أسألها عن شيء فقالت : ممن أنت ؟ فقلت : رجل من أهل مصر ، فقالت : كيف كان صاحبكم لكم في غزاتكم هذه ؟ فقال : ما نقمنا منه شيئًا ، إن كان ليموت للرجل منا البعير فيعطيه البعير ، والعبد فيعطيه العبد ، ويحتاج إلى النفقة فيعطيه النفقة ، فقالت : أما إنه لا يمنعني الذي فعل في محمد بن أبي بكر ، أخي ، أن أخبرك ما سمعت من رسول الله ﷺ يقول في بيتي هذا . . فذكرت الحديث .

قلت : الذي يظهر لي ، والله أعلم أن هذا الأمير هو معاوية بن خديج فقد ذكر في ترجمة محمد بن أبي بكر الصديق أن معاوية بن خديج قتله .

• **قال الحافظ ابن كثير رحمه اللَّه** : وقوله تعالى : ﴿**وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ**﴾ أي : وجعلنا الحديد رادعًا لمن أبى الحق وعانده بعد قيام الحجة عليه .

وهاهي مواطن اشتد فيها رسول اللَّه ﷺ[١]

• أخرج البخاري ومسلم[٢] (واللفظ لمسلم) من حديث أبي حميد الساعدي رضي الله عنه قال : استعمل النبي ﷺ ابن اللتبية ، رجلاً من الأزد، على الصدقة ، فجاء بالمال فدفعه إلى النبي ﷺ فقال : هذا مالكم، وهذه هدية أهديت لي . فقال له النبي ﷺ : « **أفلا قعدت في بيت أبيك وأمك فتنظر أيُهدى إليك أم لا ؟!** » .

• وفي « صحيح مسلم »[٣] أن النبي ﷺ قال : « **كلما نفرنا غازين في سبيل اللَّه تخلَّف أحدكم ينبُّ بنبيب التَّيسِ[٤] يمنح إحداهن الكُثْبة[٥] إن اللَّه لا يمكني من أحدٍ منهم إلا جعلته نكالاً[٦]** » أو « **نكلته** » .

• وتقدم قول النبي ﷺ لمعاذ : « .. **يا معاذ أفاتن أنت ـ أو أفتانٌ** »

---

(١) وهي مواطن كثيرة متعددة نذكر طرفًا منها فقط .

(٢) البخاري (حديث ٢٥٩٧) ومسلم (حديث ١٨٣٢) واللفظ له .

(٣) مسلم (ص ١٣٢٠) .

(٤) أما التيس فهو الجدي (من الماعز) وقوله : ينب نبيب التيس أي : يصوِّت كصوته عند السفاد ، وهو كناية عن إرادة الوقاع (أي : الجماع) لشدة توقانه إليه .

(٥) قوله يمنح إحداهن الكثبة أي : يعطي إحدى النساء اللواتي غاب عنهن أزواجهن في الغزو كثبةً (أي : كمية قليلة) من اللبن كي يزني بها .

(٦) نكالاً أي : عظةً وعبرةً لمن بعده .

ثلاث مرار ، لما صلى معاذ بالناس وأطال الصلاة[١] .

• وفي « مسند الإمام أحمد »[٢] بإسناد حسن من طريق عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن نفرًا كانوا جلوسًا بباب النبي ﷺ فقال : بعضهم ألم يقل الله كذا وكذا[٣] ، وقال بعضهم : ألم يقل الله كذا وكذا ؛ فسمع ذلك رسول الله ﷺ فخرج كأنما فقئ في وجهه حب الرُّمان[٤] فقال : « **بهذا أمرتم ؟ أو بهذا بعثتم ؟ أن تضربوا كتاب الله بعضه ببعض ، إنما ضلت الأمم قبلكم في مثل هذا ، إنكم لستم مما ههنا في شيء[٥] انظروا الذي أمرتم به فاعملوا به ، والذي نهيتم عنه فانتهوا** ».

• وعند الإمام أحمد[٦] من حديث أبي بكرة رضي الله عنه قال : أتى رسول الله ﷺ على قومٍ يتعاطون سيفًا مسلولاً فقال : « **لعن اللّه من فعل هذا ، أو ليس قد نهيت عن هذا ثم قال إذا سل أحدكم سيفه فنظر إليه فأراد أن يناوله أخاه فليغمده ثم يناوله إياه** » .

وأخرج مسلم[٧] في « صحيحه » حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله

(١) البخاري (حديث ٧٠٥) ومسلم (حديث ٤٦٥) .

(٢) أحمد في « المسند » (٢/ ١٩٥ ـ ١٩٦) .

(٣) أي أن بعضهم يعارض بعضًا وينازعه القول فهذا يورد آية وهذا يورد آية ينازعها بها .

(٤) وذلك من شده الغضب ، أي : قد احمر وجهه احمرارًا شديدًا .

(٥) أي : لستم على الصواب ، ولستم من الصواب في شيء فالصواب أن لا تجادلوا .

(٦) عند أحمد (٥/ ٤١ ـ ٤٢) وفي إسناده المبارك بن فضالة ، ومن العلماء من حسن حديثه ، ولأجزاء من الحديث شواهد انظرها في كتابنا « الصحيح المسند من أحاديث الفتن والملاحم وأشراط الساعة » .

(٧) مسلم (حديث ١٧٤٨) .

عنه أنه نزلت فيه آيات من القرآن . . الحديث وفيه :

قال (أي : سعد) : وأصاب رسول الله ﷺ وسلم غنيمة عظيمةً فإذا فيها سيف فأخذته فأتيت به الرسول ﷺ فقلت : نفِّلني هذا السيف فأنا من قد علِمْتَ حالَه فقال : « **رُدَّه من حيث أَخَذْتَهُ** » فانطلقت حتى إذا أردت أن أُلقيه في القبض لامتني نفسي فرجعت إليه فقلت : أعطنيه ، قال : فشدَّ لي صوته : « **رُدَّه من حديث أَخَذْتَهُ** » . . الحديث .

ومن هذا شدة الرسول ﷺ على عمر لما اختلف مع أبي بكر وقول النبي ﷺ : « **إن اللَّه بعثني إليكم فقلتم كذبت ، وقال أبو بكر صدق وواساني بنفسه وماله فهل أنتم تاركو لي صاحبي** »[1] .

● ومن هذا قول الصديق يوسف لأخوته : ﴿**أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ**﴾ [يوسف: ٧٧].

● ومن هذا أبواب القصاص والحدود وسائر أنواع التعزيرات الواردة في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

فعلى المسلم أن يلزم جانب اللين والرفق بإخوانه فالرفق واللين هو الأصل ولكن إن وجد أن هناك أمرًا ما تلزم فيه الشدة فيشتد بقدرٍ ثم إن انتهى الأمر عاد إلى حاله من الرفق واللين ، والموفق في هذا من وفقه الله والمسدد من سدّده الله ، فمن وفقه الله يعلم متى يرفق ومتى يشتد ، ومتى يتجاوز ومتى يؤاخذ ، ولا حول ولا وقوة إلا بالله .

* * *

تم الجزء الأول بحمد الله

---

(١) البخاري (حديث ٣٦٦١) .

الفهـــــــرس

الموضـــــــــوع	الصفحة

الموضـــــــــوع	الصفحة

الموضــــــــوع	الصفحة

* * *